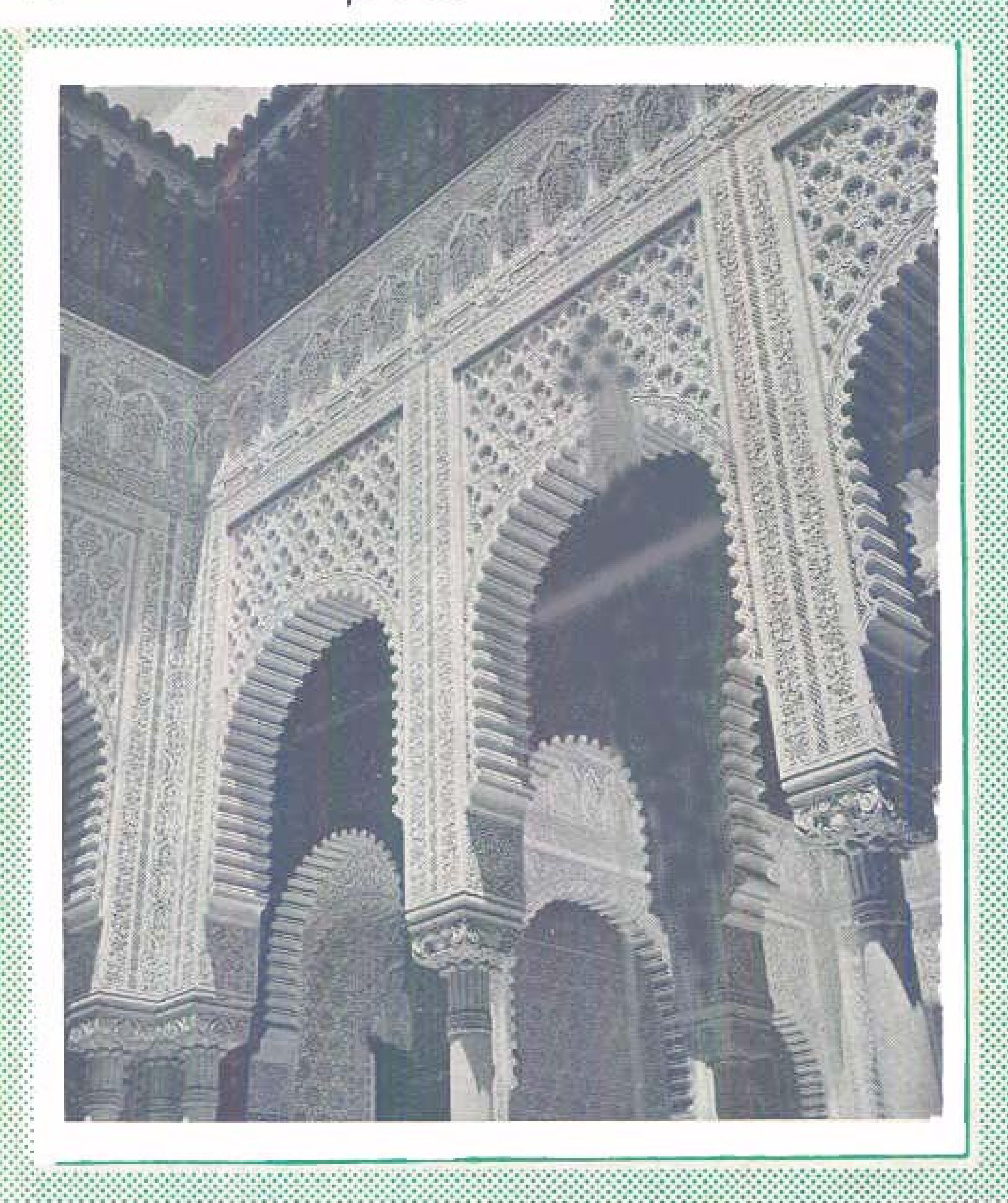
دعوة الحق

تصدرها وزارة عموم الأوقاف - الرباط - المغرب الأقصى



العدد الرابع والخامس ـ السنة الأولى
ربيع الثاني ١٣٧٧ نونبر ١٩٥٧
ثمن العدد ١٠٠ فرنك

مجلة شهرية تعنى
بالبحوث الدينية
وبشؤون الثقافة والفكر



في اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الحالي ، تحل الذكرى الثلاثين
لارتقاء جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله عرش المغرب ، وتقل
امر هذا الشعب الذي عرف بحق كيف يبادله اخلاصا باخلاص ، وحبا بحب
ووفاء بوفاء .

وسيحتفل الشعب المغربي بعيد العرش كعادته في كل سنة ، احتف
فريدا من نوعه ، احتفالا من الصعب جدا ــ ان لم يكن من المستحيل
حصر معناه ، او تحديد دلالته .

اذ انه ان يكون تعبيرا عن الولاء للعرش ، والتمسك به فقط ، ولكنـ
سيكون الى جانب كل ذلك ، تمجيدا للبطولة واحتفاء بالنصر ، وشكرا لل
على التوفيق ، وفرصة اخرى لاستعراض ذلك الشريط المجيد الذي صنعن
بدمائنا وارواحنا ، يوم قال الباطل كلمته ، وظن الا مرد لها ، ما دامت المداف
والطائرات من ورائها تحميها وتؤكدها ، وقال الشعب المغربي كلمته ، فكان
هي العليا، وان لم تكن من ورائها مدافع ولا طائرات، فقد كان من ورائهاالايما
بالله ، والثقة بوعده ، واليقين بنصرته .

وانجلت المعركة عن الباطل حسيرا مذموما ، يعض على يديه ، وعن الح
مشرقا واضح الجبين مرفوع الرأس موفور الكرامة ، وانفتح مرة اخرى با
العبرة على مصراعيه ، هذا الحق القليل الاعزل ، هذا الحق الضعيف المنهول
ينتصر بوسائله المحدودة الخاصة ، على الباطل بخيله ورجله واساطيل
واعوانه وامواله وحلفائه ومنطقه .

وعرفت الابتسامة من جديد طريقها الى الشعب المغربي ، وانفرجـ
اساريره ، وبان السرور في عينيه ، وانطلقت الزغاريد ، وتفتقت العبقريا
عن الوان من الشعر والاغاني والاهازيج والازجال ، وجن جنون الشعب ، فل
يعد يدري كيف يعبر عن فرحته ، واطلق الفنان انفسه ليعبر عن هذه الفرح
كما يريد .

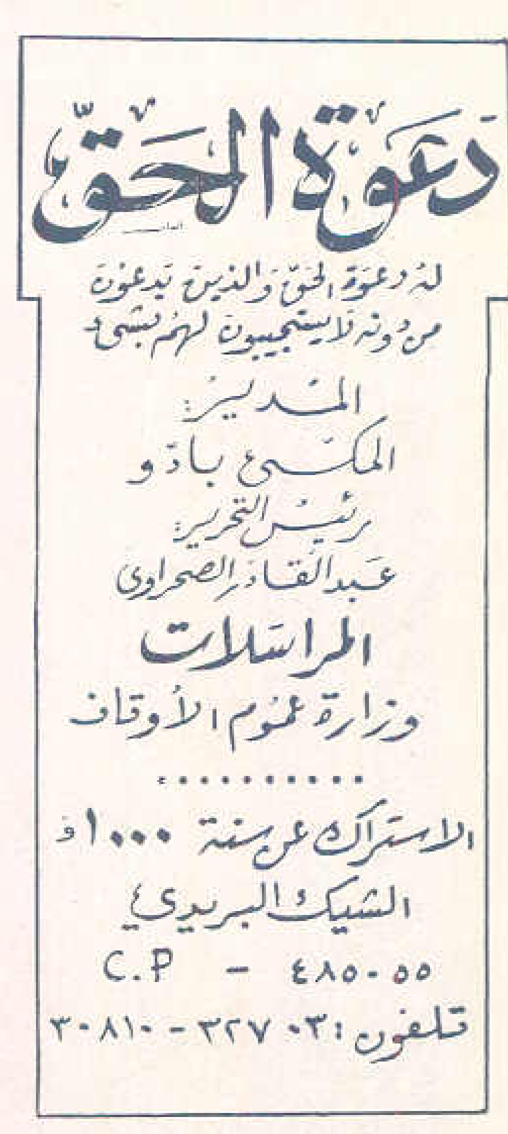
لقد عاد محمد الخامس الى شعبه وعرشه ، وعاد كاحسن ما يمكـ
لبطل في الدنيا ان يعود ، عاد يحمل في يديه الكريمتين كلمة السر ، التـ
تتحطم امامها الاغلال والقيود ، وتنفتح القماقم ، وتنهد اسوار السجون .

عاد يحمل الى شعبه تلك الكلمة السحرية المشوقة الفاتنة : الاستقلال
وتردد الصدى على قمم جبال الاطلس والريف ، وغنته السهول ، وجرت ب
الاودية : الاستقلال الاستقلال .

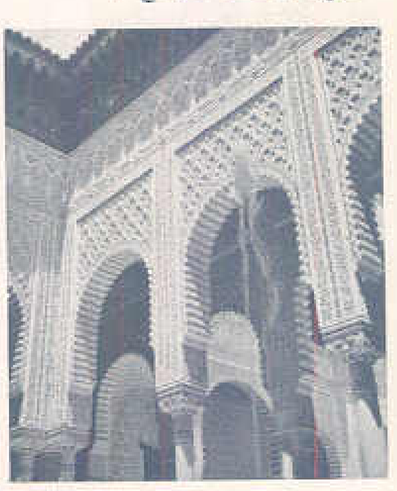
وتحققت الكلمة التي اتخذها الشعب له شعارا ، يوم بدا المستعمرو
يلوحون له باستقلال مزيف ، على شرط ان ينسى محمدا الخامس ويكف عن
ذكــره :

الاستقلال معناه محمد الخامس .
محمد الخامس معناه الاستقلال .

دعوة الحق



منظر جناح من قصر العدالة بالدار البيضاء .
وقد شيد هذا القصر اخيرا على النمط الاندلسي البديع بأيدي صناع وفنانين مغاربة .
وتلاحظ في وسطه مياه النافورة التي تتوسط الجناح .



على منبر المسجد الأعظم بتطوان

اللهم انقذ إخواننا اللاجئين الفلسطينيين، وردهم إلى أوطانهم ظافرين، اللهم انزل سكينتك على الجزائر وتداركها بلطفك الباطن والظاهر، وكن وليا لها ولسائر المستضعفين وانشر سلامك عليها وعلى أهل الأرض أجمعين.

اللهم وفقني للخير واعني عليه. واجعلني من الشعب واليه [illegible]

الملك الإمام: محمد الخامس

الحمد لله الذي رفع قدر الانسان ، بما هداه اليه من الايمان ، واسبغ عليه من صفات الاحسان . نشهد انه الله الذي برا النفس الانسانية وسواها ، ولطريق الخير والشر هداها وحررها ، وبتحمل المسؤولية اعلاها ، الهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها .

ونشهد ان سيدنا محمدا رسوله الى الخلق ، بلغ الامانة فكان خير من اداها ، وضرب المثل الاعلى لمن شاء ان يتحلى بالفضائل ، ويتخلق باطيب الشمائل ، صلى الله عليه وعلى آله الابرار وصحابته الاطهار ، وكل من سلك سنته واقتفاها .

من يطع الله ورسوله فقد رشد واهتدى ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى واعتدى ، ولا يضر الا نفسه ولا يضر احدا .

ايها الناس ، ان شكر النعم يؤذن بدوامها ، وكفرانها يؤذن بزوالها ، وان نعم الله علينا لا تحصى ولا تعد ولا تستقصى ، فقد هدانا للاسلام فتخلقنا باخلاقه ، ومهد لنا طريق الجهاد في سبيله فاعتززنا بسلوكه ، وحبب الينا الحرية فثرنا ضد الطغيان ، وهدانا لاسباب النصر بما امدنا به من الايمان . وبعد ان ابتلانا بضروب من الشدة ، اتم علينا نعمة الاستقلال والوحدة ، فلنحمد الله على ما اولانا ، ولنجسم ذلك تقوى منا واتقانا ، وعملا صالحا واحسانا .

الا وان الاستقلال لا يدوم الا بصالح الاعمال ، **وان العز والكرامة ، لايتمان الا بالايمان والاستقامة ، وهاتان هما اسس الفضائل الاسلامية ، وجماع الاخلاق القرآنية : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .**

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اوصني يا رسول الله ، فاجابه بهذه الجملة العامرة : (قل آمنت ثم استقم) .

الا وان الاستقامة تعني التمسك بالفضيلة ، والاخلاق النبيلة ، فما تمسكت بهما امة الا نالت النجاح وبلغت درجة الفلاح ، وما حادت عنهما الا اصيبت بالدمار وحل بها البوار ، لانهما مفتاح المحبة بين الناس والتعاون على الخير ، والتضامن في سبيل الصالح العام ، والثبات في المهمات ، والصمود امام العقبات ، والتغلب على الانانية والاغراض الذاتية ، لذلك اجمعت الديانات على الدعوة اليهما والحث عليهما . ومن ثمراتهما اصلاح النفس واصلاح الاحوال . (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

فلنوطد العزم على تنوير بصائرنا ، ولنسدد السير في اصلاح شؤوننا ، فان ديننا في حاجة الى بعث واحياء ، واخلاقنا في حاجة الى نمو وارتقاء ، وان وطننا ليناديننا لاتمام تحريره وتوحيده ، وحماية مجده وتخليده ، واننا لا نصل لشيء من ذلك بغير ما وصل به المؤمنون ، وما تحلى به العاملون المخلصون .

ولنذكر دائما ان شهداءنا الابرار ، الغير الاحرار ، انما ماتوا ليحيى المغرب عزيزا مكرما ، رفيعا محترما ، وقد خلفوا لنا تراثهم الكريم ، ومجدهم العظيـــم ، فلنواصل العمل لخير الوطن والدين ، ولنسر في نهج الحق المبين ، ولنقم من الحكم اعدله، ومن النظام افضله.

قال تعالى : (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) .

روى الترمذي عن جابر رضي الله عنـــــه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ، الموطـأون اكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون) .

وروى البخاري عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلهااذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا ، فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا .

وفقني الله واياكم للتعاون في طاعته ، والتضامن في خدمة ملته ، واعاننا جميعا على ما فيه صلاح الراعي والرعية ، وخير الملة المحمدية ، وسعادة الانسانية ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيـم . ويرحم الاله عبدا قال آمين .

الحمد لله على ما اولى ، والشكر له فهو نعم المولى ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والمثل الاعلى لهذه الامة وعلى آله الكرام ، وصحابته الاعلام ، وسائر التابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

عباد الله ، قال عليه الصلاة والسلام فيما اخرجه ابن حبان في صحيحه : اعبد الله ولا تشرك به شيئا ، واقم الصلاة المكتوبة ، واد الزكاة المفروضة ، وصم رمضان ، وحج واعتمر ، وانظر ما تحب للناس ان يأتوه اليك فافعله بهم ، وما تكره ان يأتوه اليـــك فذرهم منه .

ذلك هو الدين الاسلامي فاتبعوه، وذلك هو الخلق المحمدي فامتثلوه ، واياكم والخروج عن الطريـــق ، والانزلاق في المضيق ، فان الحق واضح الاعلام ، بيـن المرام ، لايزيغ عنه الا هالك ، عميت عليه المسالك .

اخرج الامام مسلم عن بشر بن عبد الله الحضرمي، انه سمع ابا ادريس الخولاني يقول ، سمعت حذيفة بن اليمان يقول ، قلت لرسول الله : انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال نعم ، قلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخن ، قلت وما دخنه ؟ قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ، قلت هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم ، دعاة على ابواب جهنم، من اجابهم قذفوه فيها ، قلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال نعم ، قوم من جلدتنا يتكلمون بالسنتنا ، قلت فما ترى انادركني ذلك؟ قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم .

فاسمعوا يا امة الاسلام قول النبي عليه السلام.

اللهم صل على نبيك المصطفى، وحبيبك المرتضى، وعلى آله وسلم تسليما . وارض اللهم عن الخلفـــاء الراشدين ، وعن كل المصلحين المخلصين .

اللهم اسدل رضاك وعفوك على امة الاســـلام ، وارفع مقامها بين الانام ، وانصر ملوك المسلميــــن ورؤساءهم ، ووحد آمالهم واعمالهم .

اللهم انقذ اخواننا اللاجئين الفلسطينيين وردهم الى اوطانهم ظافرين .

اللهم انزل سكينتك على الجزائر ، وتداركها بلطفك الباطن والظاهر ، وكن وليا لها ولسائر المستضعفيـــن وانشر سلامك عليها وعلى اهل الارض اجمعين .

اللهم اكلأ وطننا المغربي بعين عنايتك ، وارع حريته واستقلاله بجميل رعايتك ، واسدل على اهله ستور النعمة والرخاء ، وادفع عنهم كل شدة وبـلاء ، واجمع على الحق كلمتهم ، واطبع على الخير افئدتهم ، انك اهل الفضل والخير ، وانت على كل شيء قدير .

اللهم كما قلدتني امر هذه الامة ، فوفقني لاعلاء شانها وتوحيد شملها ، واجعلني عند حسن ظنها بي ، وثقتها في .

اللهم اجعلني دعوة جدي الحسن حين دعاك في هذا المكان ، بعد ان عمل على تعزيز الوحدة في كل مكان.

اللهم وفقني للخير واعني عليه ، واجعلني مـن الشعب واليه .

اللهم اجعلني لسان صدق في الاخرين ، واشدد ازدي بولي عهدي في كل حين .

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنـوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنـــا وتوفنا مع الابرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . آمين .

الى جلالة الملك محمد الخامس

البار من علماء العراق

اطلع علماء العراق على نص الخطاب المولوي الكريم ، الذي وجهه جلالة مولانا الملك سيدي محمد الخامس نصره الله واطال بقاءه ، الى ولي عهد المملكة المغربية ، الامير الجليل ، مولاي الحسن ، بمناسبة تنصيب سموه وليا للعهد ، فكان لهذا الخطاب فى نفوسهم وقع كبير واثر عظيم .

وقد اعربوا عن كل ذلك فى رسالة رقيقة ، وجهوها من العراق الى جلالته ، يدعون له فيها بطول البقاء ، ويعربون عن مدى تاثرهم واغتباطهم بالروح الدينية المتجلية فى الخطاب ، وبالوصايا الثمينة الواردة فيه .

ودعوة الحق ، يسرها ان تنقل الى قرائها الافاضل فقرات من هذه الرسالة ، ضارعة الى المولى العلي القدير ان يستجيب بفضله وكرمه للدعوات الطيبة الواردة فيها ، انه على كل شيء قدير .

دعوة الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الملك المعظم محمد بن يوسف ملك المملكة المغربية ـ الرباط ـ

سلام اسنى ، وتحيات حسنى ، يبعثها علماء العراق ، الى مقامكم الكريم ، مهنئين ومباركين ، بتنصيب نجلكم الامثل وليا للعهد (اطال الله عهدكم السعيد) ، ومغتبطين ومبتهجين ، بتلك الوصية الخالدة التي منحتموها اياه فى يوم توليته للعهد ، وصية لا كالوصايا ، تحمل فى طياتها الايمان والاخلاص ، والوفاء والتقوى ، وكانها قبس من نور الذكر الحكيم ، الذي عمر الله به قلبكم الكبير ، وانار به بصيرتكم النفاذة ، (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) .

لقد الهمتم الرشد والصواب ـ شانكم دائما ـ حينما اوصيتموه بعدم الحيدة عن طريق الاسلام القويم ، او اتباع غير سبيل المومنين ، ثم اعقبتموها بحكمتكم العالية الغالية (فانه لا عدة فى الشدائد كالايمان ، ولا حيلة فى المصائب كالتقوى) .

لقد ابتهج علماء الدين عند اطلاعهم على هذه الوصية الراشدة ، التي نهجتم فيها نهج الخلفاء الراشدين ، والملوك المومنين المقسطين ، ولقد رسمتم لنجلكم الاكرم فيها طريق النجاح ، وهديتموه لاكسير الفلاح ، ولقد وددنا ان نرفع لمقامكم الكريم فى هذه المناسبة المباركة، تهانينا وتبريكاتنا، وشكرنا وابتهاجنا، سائلين الله عز وجل ان يمد فى عمركم ، ويديمكم ذخرا للاسلام والمسلمين ، وان يوفق نجلكم الامير الحسن الى السير على منهاجكم ، والاخذ بارائكم ووصاياكم ، والاقتداء بسيرتكم الكريمة ، وندعو الله له بالتوفيق ، والى فكرتكم ووصيتكم بالتحقيق ...

اخذ الله بيدكم ، واعانكم على امركم لاعزاز دين الله ، وادامكم ذخرا للاسلام والمسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد القزلجي . محمد فؤاد الالوسي . نجم الدين الواعظ . امجد الزهاوي . عبد القادر الخطيب عبد الرحمن خضر . محمد محمود الصواف .



احيا جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله ليلة عيد المولد النبوي بالمسجد المحمدي بالدار بالبيضاء، بين الصلاة والتلاوة والذكر والاعتبار، وبهذه المناسبة القى بين يدي جلالته زعيم حزب الاستقلال الاستاذ الكبير السيد علال الفاسي هذه القصيدة الرائعة، يهنىء بها جلالته بالعيد، ويعرب عن ولائه واخلاصه، ويذكر بالامجاد التاريخية العظيمة، وبالمسؤوليات الكبرى التي لا يزال علينا ان نواجهها في حزم، وعلى راسها، قضية الجلاء، وقضية استقلال القطر الجزائري الشقيق.

دعوة الحق

شنف الاسماع من انبائهــا ... واقبس الآيات من ايحائهــا

لابتا الدنيا ومــا قد ضنتــا ... بعض ما يمرح في نعمائهــا

جنة الدنيا وكانت يئست ... ان ترى الرحمة في انحائهــا

عمها دامس عهد لم تنل ... منه غير البؤس في افنائهــا

عبدتها عصبة طاغية ... تبتغي الرفعة من باسائهــا

علمتها الجهل في عاداتها ... فكساها الزيف في آرائهــا

امة تحيا على غير هدى ... وترى الحكمة في ادوائهــا

تصنع الربات كي تعبدها ... وترجى الفيض من سحائهــا

وترى العزة في طاعتها ... وجميع الخير في ارضائهــا

جعلت كاهنها رائدها ... فهو لا يشفق من ارزائهــا

تاجر الحي مرابيه غدا ... بطل الامعان في اغوائهــا

يبعث الفتنة ما شاء ولو ... امعن التقتيل في احيائهــا

لا يبالي ما تقاسيه اذا ... ربح الصفقة من افنائهــا

حارت الامة في وجهتها ... ما الذي ترجوه في لأوائها
تسال الطارق من قصادها ... وهو اللاجي الى افيائها
امم الدنيا اليها التجات ... تسال الطالع من انوائها
عم في الدنيا اضطهاد غاشم ... فغدت تاوى الى بيدائها
اي سر وجه الناس الى ... هذه الامة في صحرائها ؟
اي شوق عم في باطنهم ... للذي تجهل من انبائها ؟
اي سحر قد سرى في كونهم ... فغنا الكل الى املائها ؟
اين كسرى ومغانيه وما ... صنعت ايديه في اقبائها ؟
اين فيها قيصر ماذا اتى ... وهو الحاكم في غبرائها ؟
اين رهبان الديانات وما ... صنعوا بالفكر في اثنائها
انها الصحراء تغدو وطنا ... ينقذ الاوطان من اعدائها
امل العالم لم يبق سوى ... في الذي يلمع من اضوائها
انها ترقب والدنيا معا ... خارقا يكشف من ظلمائها
حبذا آمنة في عسرها ... تحمل المعجز في احشائها
من لها ان البرايا كلها ... ترقب الشعلة من احنائها ؟
واذا الصحراء تدوي والورى ... كلهم يمعن في اصغائها
حبذا البشرى لقد رف بها ... علم الانوار في بطحائها
ليلة المولد منها انبثقت ... ثورة الصحراء في لالائها
هزت الارض ومن من فوقها ... وغدت تحكم في اهوائها
زعموها مجدبا لاكنها ... انجبت احمد في ابنائها
كلمة الله الى الارض : انهضي ... وضعي الاشياء في اجوائها
كلمة كم جمعت من جمل ... ومعان هي من سيمائها
علم الله بها الخلق النهى ... والعلا والعلم من اسمائها
ويد الله التي قد جمعت ... وحدة العالم في اطوائها
هدت الخلق جميعا فالتقت ... امم الارض على بيضائها
سمحة قامت على الحق كما ... دعمت بالعدل في ارسائها
رفعت قدر الذي صدقها ... فهو في القمة من شمائها

شرعة الله التي ساس بها ... امم الارض على ضوضائها
اي دين مثل دين المصطفى ... جمع النفس الى حوبائها
نظم الدين الى الدنيا فما ... تصنع الدار سوى اجزائها
جعل الاحكام شورى بيننا ... واساس الامر من غرائها
وجميع الناس في اكنافها ... شرع بالحق من اكفائها
الفتى من بذل الجهد لها ... وارتضى الهائل من اعبائها
والذي ضحى على امته ... وسعى بالكد في احيائها
وارتضى القرآن في سيرته ... حكما يفصل في اشيائها
قل لمن ظن الهدى في غيرها ... انت قد جرت الي جهلائها
حبذا الخيرة من اسلافنا ... بلغوا الذروة من قعسائها
رفعوا صرح الهدى في ارضنا ... واهتدوا بالنور من « زهرائها »
اسسوها دولة قومية ... يشرق الايمان في ابهائها
احمد المختار في انسابها ... وبنود الغر من آبائها
قادها ادريس في ريعانها ... فانارت كل افريقائها
ربطت صحراءنا في مجدها ... بالفيافي البيض من صحرائها
ثم قامت دول رائعة ... تجمع الاطراف من ارجائها
فسلوا التاريخ عن اعمالها ... والذي شادته في اسرائها
والذي رادته من عالمها ... والذي خاضته من هيجائها
والذي نالته من نصر لدى ... سيرها العاتي على اعدائها
وحدة المغرب من شيدها ... منذ ان كانت سوى بنائها ؟
فسلوا الخضراء والبيضاء هل ... ينكران الفضل من حمرائها
وسلوا اندلسا عن عهدها ... والذي نالته من نعمائها
وسلوا السودان والبيضان هل ... حررا الا بمضائها

انت يا مولاي ، اسمى وارث ... جدد الايمان في ابنائها
جئت بالمعجز في احيانها ... ما اتى الاسلاف في انشائها
قد وجدت الارض فينا زلزلت ... وسعى الكل الى اشقائها

عبث الطاغي بها واحتكمت ... يده في شق اشلائها
جعلوها شيعا واقتسموا ... كي يسودوا كل اعضائها
فبذلت الجهد في انعاشها ... وبعثت الروح في صمائها
نهضت حولك يحذوها الظما ... وتوالى الجهد في ارومائها
كلما سارت خطى جددتها ... خطوات نحو حسنائها
ان الاستقلال والتوحيد من ... بعض ما اسديت من آلائها
ومنحت التاج من عليائه ... درة تزهو على عصمائها
الامير البطل السامي الذي ... رضع الحكمة في اثدائها
وولي العهد من اوليته ... ثقة يرفل في سيرائها
كتب الشعب على بيعته ... واسمك الاعظم في طغرائها
ويمين لك قد اقسمها ... ويد الله على ايمائها
وهو اولى من بها بر، ومن ... ضرب الامثال في ايفائها
قائد الاركان باني جيشها ... وممد العزم في شعوائها
ومشير الراي في تدبيره ... كل ما ينقل من دامائها
وفتى الهمة لا يرضى سوى ... رفعة الامة من اهدائها
لك في القطر الجزيري شعلة ... لا تني تعمل في اذكائها
ترفع الصوت بما تطلبه ... امة ترغب في انجائها
واساراهم لهم في عهدنا ... ذمة ترغب في ابرائها
اين بلا والالي في صفه ... اخوة الذب على عسرائها
حسبهم منك دفاع دائم ... يخرج الاشياء من ليلائها
وحدة المغرب في روعتها ... انت من يعمل في انهائها
وجيوش الاجنبي في ارضنا ... انت من يعمل في اجلائها
كل يوم تدفع الشعب الى ... غاية تدني الى عليائها
والذي تعمل في تهذيبها ... بعض ما تعمل في اعلائها
فصروح العلم في اشكالها ... تصنع الاعلام من دهمائها
وفتاة اليوم قد اوليتها ... نعمة ترفل في ازيائها
وصروح العدل في تنظيمها ... ما يعيد الحق في اجرائها

وحقول الزرع فـي تجديدهـا　　غاية المجهود فـي اغنائهـا

كـل خيـر نـرتجيه انـه　　منك في النفس وفي سودائها

حسبنا انا جنـود كلنا　　للتـي تعمـل فـي ارقائها

فخض الدهـر بنا ما تبتغـي　　مـن ميادين على ارجائها

وخض الصحراء في تحريرها　　فصقور الشعب في بيدائها

لا نبالي مـن علينـا ائتلفوا　　كي يحوزوا سر اثرائها

نحن في الواحات آساد الشرى　　ندفع الطاغي عـن ظهرائها

لا نبالي النار ارضا او سما　　او نخاف الموت في ارزائها

نحـن للـوحـدة ابطالـك لا　　تنثني عنها الى انمائها

يا مليك المغرب الاقصى ويا　　مرشد الامة في ابلا ئها

نحن في مسجدك اليوم هنا　　نحمد النعمة في اثنائها

في رياض انت قد شيدتها　　وملات الذكر في ارجائها

فنرجي نعمة زائدة　　انت من عجل في اسدائها

وسع المسجد في ساحاته　　يارز الناس الى ابهائها

فلقد ضاقت بقصادها　　وغدت تسجد في غبرائها

كلنا نفديك بالروح وما　　نبلغ الواجب في فدائها

ان يخن عهدك قوم حسبهم　　انهم ساروا على عشوائها

ربطوا امرهم بالاجنبي　　فهما اليوم الى ضرائها

ومن اختار مصيرا ناله　　تنبغ الغاية من ابدائها

كل عيد لك منى آية　　تحسب الاملاك من قرائها

لك من شعبك آيات الوفا　　وانا المعرب فى القائها

بين الجمود والجحود

للأستاذ الكبير
السيد المختار السوسي

حدث بعضهم قال : كنت فى حين من الاحيان منهمكا فى شغل متعب حتى ضجرت ضجرا عظيما حال بيني وبين الطمانينة التي استمد منها دائما فى حياتي متعة الحياة ، ولذة الفؤاد ، فتمنيت لو اتيح لي سفر مريح استرد به ما فقدته من البهجة والسرور ، فلم يطل الزمان عن جولان هذه الامنية فى صدري اذ القي الي موزع البريد هذه الرسالة :

وجدة 20 ربيع الثاني 1340

الاخ الذي لا انساه . . .

لا ادري هل تسر كثيرا باقتراح سنح لي امس ان اعرضه عليك ، فقد اجمعت على ان اعقد من اسرتنا مجمعا عاما ، لحل ما كنت اشكو اليك به دائما من اننا اخوة اربعة ، كل واحد منا مول وجهته الى فكرة ارتضاها لحياته .

فاخونا الاكبر السيد العربي ، غارق فى صوفيته ، لا يبغي بها بديلا ، ولا يرى للذتها فى الحياة مثيلا ، حتى اداه ذلك الى ان كاد يطلق اسباب المعاش ، فاوشك ان يقف على عتبة الاعواز ، وان يعرض ما بيده من الرباع والعقار للبيع .

واخي الاخر السيد سعيد سادر فى غلوائه ، يتسكع بين المقاهي البلدية القديمة ، فلا يكاد يفارق متجره الذي يتابع فيه النمط القديم فى المقايضة والاخذ والعطاء ، حتى يندغم ثانيا بين جماعات اغمار انذال ، ثم لا يزال الافيون والحشيش والمعجونات المخدرة تفعل فعلها فيهم الى ان ينهار الليل ، وربما يبقون كذلك الى الثلث الاخير ، وفى هذا يمضي جل دخله ، وان كان ما يدخل عليه ليس بقليل ، ومتى عاتبه معاتب على ما فيه تظاهر حينا بالتوبة والاقلاع ، وحينا احتج بالقضاء والقدر ، وهو كما تعلمه منه لسن لا يعوزه البرهان ، ولا ينقصه علم يستمد منه الاجوبة المقنعة ، الا ان الواقع انه سائر فى طريق غير محمود العاقبة ، ولا مرجو السلامة .

على انه احسن حالا فى الجملة من اخينا الاخر الصغير ، العظيم الطيش ، الكثير النزق ، الذي لم يدع له تفرنجه اذنا يسمع بها نصيحة من احد بين قومه ، فقد راى من نفسه بعد ان حاز الدكتوراه فى الحقوق وفى الادب، انه من اعاظم العالم، فلم يسمع لما كنا نسديه اليه من نصح يوم عاقد تلك المراة النمساوية التي اقترن بها ، اقترانا مدنيا ، ثم اقبل بها الى قومه ، فلم تزل تستنزف ماله بتبرجها وتبذيرها، وحياته وعقليته بمعاقرتها ، حتى كاد يقف موقف المدقعين ، فلم يجد بدا من مفارقتها ليسترجع حريته ، ولكنه حين لم يكتسب عقلية قومه الذين يعيش بينهم ، وليسوا تحت بصره الا همجا رعاعا جهالا ، صار كالزئبق الذي يترجرج فى كف المرتعد ، فلا يستقر على حال ، ولا يكاد يستبين محجة تعبد امامه الى الحياة ، فنظرت اليه نظرة الاشفاق والحنو لمكانة الرحم بيننا ، وقد تناسيت كل ما كنت سمعته منذ قبل اليوم من المجابهة بالسوء — فواصلت به يدي — واتيته من الباب الذي اعرف انه لا ينفتح لعقله سواه ، فلم ازل اراده باقوال حكماء الفرنج ، وامثل له حياتهم ، حتى اسلس القياد لما اقوله ، فاستطاع ان يقر به قرار فى عمل جديد استقبله ، ولم يبق الا ان اراوغه على الزواج من امراة من قومه الذين يعيش بينهم ، فلم يزل معي ولم ازل معه فى ذلك بين اختيار وشروط ، حتى وقع رضاه على احدى الاوانس التي ربما ترضيه ان تماسك عن ميدان تفرنجه ولو تماسكا ما ، فها هو ذا قد املك ، وسيعرس فى شوال ان شاء الله ، كذلك كان الاخ حماد اصلحه الله .

انني كنت دائما فى حيرة من هؤلاء الاخوان الثلاثة فبينهم جميعا بون بعيد ، فقد انقطعت صلة الرحم بينهم ، وذهبت وصية والدنا المرحوم هباء منثورا ، فقد كان آخر ما وصانا عليه ونحن نغمض عينيه ، ان نجعل امرنا واحدا ، وشملنا مجتمعا ، وان

لا تفرط فيما ورثناه من الرباع والعقار ، وقال : ان رضاه مقصور على من تتبع هذه الوصية .

واذ كنت دائما حريصا على ان لا افلت رضى والدي المرحوم ، حاولت ان احمل اخواني — فضلا عن نفسي — على ان يسير الجميع فى الصراط المستقيم الذي يوصل اليه ، ولهذا كنت ابذل دائما جهدي على قدر طاقتي فى استصلاح حالهم ، والتئام شملهم ، وفى تعهد المواصلة بينهم .

الا انني دائما القى المشقة الفادحة فى وصل الحبل بين الاخ السيد العربي الصوفى ، وبين الاخ حماد المتفرنج ، فان ناريهما لا تتراءيان، فان حمادا ينفر اشد النفور من المذكور وينعته باسوا الاوصاف ، ولا يسميه الا بالخراق الجاهل المغفل — وان لم يكن فى الحقيقة فى نظري انا كذلك — وكذلك الآخر قلما يريد ان يذكر حماد بين يديه ، ومتى ذكره ذاكر يثور ثائره ، ولا يزال يصب اللعنات على الكفار والملحدين المشاقين لله والرسول. ومتى حاول محاول ان يخفف من غلوائه قال: انني منه براء ، فليشهد الله والملائكة والناس اجمعون بذلك ، ثم يتلو قوله تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ثم لا يزال يثر بمثل هذه الحجج والبراهين من الايات والاحاديث، حتى يتمنى جليسه أن يسكت .

وما كانت سبب هذه النفرة الشديدة الا تربية السيد العربي لحماد فى حين طفولته ، فكان يحاول ان يسلك به فى طريقته ، ولكنه بعد ان اثرت فيه البيئة تاثيرها ، ومالت به التعاليم التي تلقاها ميلا آخر ، صار يواجه اخاه الكبير من غير حياء بكل ما يكره ، وربما سب دينه سبا يكاد به السيد العربي يخرج من جلده حنقا وغيظا ، وهو معذور ان غضب لدينه ولقوميته .

ثم بعد ان شب حماد ، واستغنى عن المسح شاربه ، وهاجر الى اوربة سنين ، رجع كما يرجع غالب امثاله الا من عصمه الله، فحين سمع اخوه الاكبر انه يلبس البزة الفرنجية وانه محلوق الذقن ، لا يفارق الدخان فاه ، ولا المحجن يده ، وانه لا يعرف الصلاة ولا يقوم بها ، صار يتبرا منه فى كل مجلس ذكر فيه امامه ، فينقل نقلة الخبر السيء كل ذلك الى حماد فيجيب باقبح واشنع .

هكذا اتسعت الشقة بينهما ، ثم لما عثر الزمان بحماد تلك العثرة المتقدمة ، يوم فجعه فى قرينته الفرنجية ، وحاولت ان يصيخ لي ، وان يجعل بعض ما اقوله له ان لم يكن كله فى موقع القبول ، كنت ابين له برفق وتؤدة ، وكلام لين ، مقدار غلطته بينه وبين اخيه الاكبر الذي كان امضى زمنا فى تربيته، وفى الاخذ بيده فى عهد طفولته ، فسردت عليه من كلام فكتور هيجو ، وشيكسبير ، ولامارتين ، فيما يتعلق بمثل ذلك ، فاستطعت ان اخفف قليلا من الذي يحمله فى صدره نحو مربيه ، وبعد ما استقر ذلك فى نفسه ذكرت له فى عرض حديث : ان الاولى للانسان ان يجتمع مع مخالفيه ، ويناظرهم ، فلعل الحق يكون فى راي مخالفيه ، ويكون هو له من الجاهلين ، فالحقيقة بنت البحث ، فما دمت مستقر الراي على ما تمسكت به الى الآن ، فما يمنعك من ان تجتمع مع اخيك السيد العربي وتناظره ، فان كنت انت فيما ذهبت اليه محقا ازددت بصيرة ، وان كان هو عين المحق ، ازددت علما جديدا كنت تجهله قبل ، فقد قال فلان الفرنسي : لا يذهب بك العجب والبطر مذهبا بعيدا فى راي تراه ولو امضيت فيه جل عمرك ، من ان تستمع الى راي يعاكسه ، فلولا هذه الطريقة فى الفلسفة وفى العلوم المادية لما ترقت المدنية الغربية هذا الترقي، ولما غاص الناس بالعلم الى اعماق البحار، ولما طاروا فى اجواز الجو كل مطار ، ولما اتصلت اطراف الكرة الارضية بالمذياع والبرق حتى زالت الابعاد بين سكانها

فلم ازل به تحت كلام الغربيين حتى وعد ان يجتمع باخيه السيد العربي متى دبرت ذلك الاجتماع فلم يصعب علي ان اقنع الآخر الصوفى فى الذي سيئول به هذا الاجتماع من دعوة حماد الى الاسلام من جديد فان الواجب على المسلم ان يكون داعية الى دينه ، ثم اعتقاد ان الهداية من الله (فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر) (ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء) .

والان صح العزم على عقد هذا الاجتماع فى اواخر هذا الشهر ، وحين كنت عرفت انك معروف عند كل هؤلاء الاخوان بانك من اصحابي المعتمد عليهم ، سنح لي ان تحضر المجمع ، فلعلك تكون فيه حكما مرضيا، او مؤيدا مسلم الحجج ، او تكون شاهدا على الاقل ، لانني بفضل ما من الله به علي من مشاركة السيد العربي فى علومه الاسلامية المتداولة ، ومن مشاركة حماد فى علومه الغربية مع معرفة اللسان الفرنجي الذي يعرفه ، سامثل ما استطعت دور الوساطة بين الطرفين ، فاراد كل واحد منهما بما اراني الله ، على وفق ما ارانيه حقا .

انظر البقية على الصفحة 25

الثبوت العقلي للرسالة المحمدية

للعلامة السيد أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان .

اغمض عيني جسدك قليلا ، وارجع بعيني فكرك الى ما قبل اربعة عشر قرنا من تاريخ هذه المعمورة . . . كيف كانت تلك الدنيا ؟ ما اقل الوسائل فيها لتبادل الافكار بين الانسان والانسان ! وما اضعف اسباب الاتصال بين الشعوب والاقطار ! وما اضال معلومات الانسان واضيق افكاره ، واغلب الاوهام والوساوس والوحشية عليه ! وما اضعف نور العلم حتى كان لا ينتشر فيها ويقشع دياجير جهلها الا بجهد جهيد، وبطء لا يكاد يشعر به ؟ ما كان فيها برق ولا هاتف ولا اذاعة ولا سيارة ولا قطار ولا طائرة ولا مطبعة ولا دار للنشر، ولا كثرة للمدارس والكليات ، ولا كانت تنشر فيها الجرائد والمجلات ويكثر تاليف الكتب وتوزيعها . فكان واحد من كبار علماء الايام واشرفها اقل تهذيبا من واحد من الاجراء المرتزقين فى هذه الايام . وكان من يعد من اكثر الناس تنورا فى ذلك الزمان اكثر فى الظلمة والتخلف من اجهل الناس فى هذا الزمان . والامور التي تلوكها السنة الصبيان فى هذا الزمان ، قلما كان للناس يعرفونها فى ذلك الزمان ولو بعد بذلهم الجهود المضنية المتتابعةالى سنوات طوال فى البحث والتنقيب . والمعلومات التي هي ابلج من ضوء النهار ويسقط عليها كل صغير مع بداءة سن شعوره فى هذا الزمان ، كان يقطع لها الناس فى ذلك الزمان مسافات بعيدة ويفنون فى التعرف عليها اعمارهم والامور التي تعد اليوم من الاوهام الخيالية والخرافات الواهية ، كانت بمثابة الحقائق لا يتطرق اليها الشك فى ذلك الزمان . والاعمال والافعال التي تعافها اليوم الطبائع وتوصف بالوحشية وقلة الادب، كانت من عادات الناس ومالوفاتهم فى ذلك الزمان . والطرق التي يربأ عنها ضمير الانسان فى هذا الزمان ، ما كانت فى اخلاق ذلك الزمان مشروعة فحسب ، بل لم يكن يخطر ببال احد امكان ان يوجد طريق غيرها . وقد كان الانسان بلغ فى عبوديته للغرائب مبلغا جعله لا يعتقد الصدق او العظمة او القداسة فى شيء ما لم يكن فوق الفطرة خارقا للعادة ، ويرى نفسه من الذل والهوان بمكان يعجز فيه ان يتصل بالله ربه او يكون احد المتصلين به من بني جنسه .

وقد كانت فى مثل هذا العصر المظلم ناحية فى الارض كان للظلمة والجهل استيلاءتام عليها واحاطة بكل نواحيها . تلك هي بلاد العرب ، التي كانت منعزلة عن الدنيا على وقوعها بين ممالك كانت على جانب عظيم من المدنية والحضارة حسب ما كان للمدنية والحضارة من مقياس فى ذلك الزمان .

كانت فى بلاد الروم والفرس ومصر بارقة من نور العلم والفنون والحضارة والآداب والتهذيب ، ولكن الجبال المترامية الجوانب من الرمال عزلت عنها بلاد العرب . نعم ، لقد كان تجار العرب يرحلون الى هذه الممالك على ظهور جمالهم بعد ان يصرفوا فى قطع الطريق اليها الاسابيع والشهور ، ولكن لم تكن غاية رحلاتهم تعدو تبادل البضائع ، فما كانوا يرجعون منها بقبس من نور العلم والحضارة . اما ارضهم ، هم انفسهم ، فما كانت لهم فيها مدرسة ولا مكتبة ولا اثر للتعليم ولا رغبة فى العلوم والفنون والآداب ، وما كان يتجاوز من يعرف منهم القراءة والكتابة عدد الانامل ، بل لم تكن معرفتهم بالقراءة والكتابة حيث تعينهم على الالمام بعلوم ذلك الزمان وفنونه ومعارفه. وان كان عندهم شيء يمتازون به عن غيرهم ويفوقونهم فيه ، فهو لسانهم الذي كان من ارفع الالسنة فصاحة ، وصالحا ليعربوا به عن ادق ما يكون من الافكار والخيالات ، فكانوا لاجله على قسط موفور من الذوق الادبي . ولكننا اذا سرحنا النظر — على ذلك — فيما بلغنا من آثارهم الادبية والفكرية ، علمنا ان معلوماتهم كانت ضيقة محدودة جدا ولم يكن لهم ادنى نصيب من الحضارة والمدنية ، وكانوا وكرا للاوهام والخرافات ، وكانت للجهل والوحشية غلبة شديدة على عاداتهم وكانوا من احط الناس درجة فى

تصوراتهم للاخلاق والآداب . ما كانت فيهم حكومة تحكمهم وتجمع كلمتهم ولا قانون يامرهم وينهاهم ، بل كانت كل قبيلة منهم مستقلة بامرها لا تتبع الا قانون الغلبة . فكل من كان يقدر منهم ان يقتل غيره ، قتله واستولى على ماله . وكان فوق فهم البدوي منهم الا يقتل من ليس من قبيلته ولا يتصرف فى ماله .

وكانت تصوراتهم للاخلاق والآداب فى غاية من الانحطاط والجهل ، فما كان لهم من عهد — تقريبا — بالفرق بين الطاهر والنجس والحلال والحرام والجائز وغير الجائز . كانت حياتهم قذرة واعمالهم وحشية واصبح الزنا والميسر وادمان الخمر والسرقة وقطع الطريق وقتل النفوس من عاداتهم ومالوفاتهم فى حياتهم اليومية . كانوا يتعارون بينهم بدون حياء ولا كلفة ، وتطوف نساؤهم ببيت الله عاريات ، ويئدون بناتهم بايديهم لا لشيء الا تحاشيا عن وصمة المصاهرة ، وينكحون ازواج آبائهم من بعدهم ، وكانوا على غير شيء — تقريبا — من العلم بآداب الاكل والشراب واللباس والطهارة ، فكانوا ياكلون الميتة ، ويأتون الفواحش ، ويقطعون الارحام ، ويسيئون الجوار ، وياكل القوي منهم الضعيف ، وكان لهم نصيب موفر مما كان مطبقا فى سائر انحاء الدنيا فى تلك الايام من الخبائث والضلالات والجهالات ، فما كانوا دون غيرهم فى اي نوع من انواع العبودية لغير الله كعبودية الارواح والنجوم والاصنام والحجارة ، وما كان لهم علم صحيح بالانبياء السابقين وتعاليمهم ، وما كانوا — على معرفتهم انهم من ذرية ابراهيم واسماعيل عليهما السلام — يعرفون ما كان دينهما ومن كان يعبدانه . كانت قصص عاد وثمود رائجة فيهم ، ولكننا اذا انظرنا نظرة فى الروايات التي قد نقلها مؤرخو العرب عن هاتين الامتين ، ما عثرنا فيها على شيء من تعاليم صالح وهود عليهما السلام . وكذلك كانت وقائع بني اسرائيل وايامهم بلغتهم بواسطة اليهود والنصارى ولكننا اذا قرانا فى كتب التفسير ما سبق فيها من الروايات الاسرائيلية ، عرفنا نصيب هذه الروايات من الصحة وموافقتها للعقل السليم وعرفنا كيف كان اولئك الانبياء الذين كان يعرفهم العرب بل اليهود والنصارى انفسهم ؛ وما كانوا عليه من الاخلاق والآداب الانسانية ، وعرفنا ما كان لهؤلاء العرب من التصور الدنيء الفاسد للنبوة والرسالة .

فى مثل هؤلاء القوم ، وفى مثل هذه الاحوال ، ولد مولود مات عنه ابوه قبل ان يولد ، ثم ماتت عنه امه وجده فى ايام صباه ، فما تلقى من التربية ما عسى ان يتلقاه حتى فى مثل هذه الحال والبيئة المتداعية ، لو كان ابواه وجده فى قيد الحياة ، فلما نشأ وبلغ سن الشعور ، وجد نفسه يرعى الغنم مع اترابه من ابناء العرب . ولما شب اشتغل بالتجارة ، وما كانت مجالسته ومعاشرته ومخالطته الا لاولئك العرب انفسهم الذين قد سلف القول فيما كانوا عليه من الانحطاط فى عاداتهم وخصالهم واخلاقهم . كان اميا لا يعرف القراءة والكتابة ولم تتح له صحبة عالم ، لان العالم لم يكن له وجود اصلا فى بلاده . نعم ، اتيح له ان يرحل الى خارج بلاده مرتين او ثلاث مرات ، ولكن ما كانت رحلته فى كل مرة الا الى الشام ، ولا كانت تعدو فى غايتها بيع البضائع وشراءها على مثل ما كان من عادة قوافل العرب فى تلك الايام . ونحن ان فرضنا جدلا انه شاهد فى هذه الرحلات آثارا للعلم والثقافة ، واتفق له ان يقابل بعض اصحاب العلم ، فالظاهر انه بمثل هذه المشاهدات المتفرقة الخاطفة ، والمقابلات السريعة الفجائية ، لا تغير طبيعة الانسان وسيرته فى الحياة ، ولا تؤثر فيه تاثيرا يجعله مختلفا — اختلافا بينا — عن قومه فى عاداته واخلاقه وخصاله وافكاره ، او يحصل له بها علم يجعله معلم قطر من الاقطار او زمن من الازمان فحسب ، ولكن معلم الانسانية وهاديها وزعيمها ومنقذها فى جميع الاقطار والازمان . وهو ان كان قد استفاد من علوم الاجانب — ولو فى اي درجة — فما كانت له وسيلة ، على كل حال ، الى تحصيل ما كان معدوما فى زمانه من المعلومات والنظريات والمبادىء فى الدين والاخلاق والآداب والمدنية والسيرة الانسانية .

لا تتمثل حالة بلاد العرب وحدها ولكن تمثل حالة الدنيا كلها .

انك ترى بدون شك ان الذين ولد فيهم هذا الرجل ، ونشأ وشب بين اظهرهم وعاشرهم طول حياته ، كان مختلفا عنهم كل الاختلاف — كما قلت آنفا — فى عاداته واخلاقه وخصاله وافكاره . فلم يكن يكذب فى حديثه ولا يؤذي احدا بيده او لسانه . كان لين الجانب خفيف الظل عذب الكلام ، يشغف حبا كل من يجالسه مرة ، وما كان لينال من احد شيئا — مهما صغر وحقر — على طريق غير مستحسن ، وكان قومه كلهم يشهدون له بالصدق والامانة ، ولا يتهمه اعدى اعدائه منهم بالكذب فى حديثه ولو مرة طول حياته ، ولا يرونه يسافه احدا فى القول او يناوله بما يسوءه . اشتغل بالتجارة ردحا من حياته ولكن لم يجده احد يخاصمه ويبادله السباب او يهضم له حقا ، بل كان من الامانة والصدق والعفاف حيث جعل كثير من ابناء قومه — ومنهم الد اعدائه — يامنونه على اموالهم الثمينة ، ويودعونه اياها ، وهو يحافظ عليها كما يحافظ على نفسه وماله ، وكانوا جميعا يعتمدون عليه ويثقون بامانته فيلقبونه بالامين فى احاديثهم ومناداتهم له . وكان

حيا لم يظهر لاحد بدنه عريانا بعد سن الشعور . وكان مهذبا ينفر من الشر والرذيلة على الرغم من نشأته ومعاشرته طول الحياة رجال الشر والرذيلة . وكان نظيفا نزيه الذيل فى كل عمل من اعماله طاهر القلب يتالم برؤية قومه ينهبون الاموال ويسفكون الدماء ويقطعون الارحام ، فيسعى لاصلاح ذات بينهم كلما حمى بينهم وطيس الحروب والمعارك . وكان رؤوفا يشاطرهم ما ينزل بهم من المصائب وينصر المظلوم ويعول اليتامى ويواسي الضعفاء والملهوفين ويطعم الجياع ويضيف ابناء السبيل ويكرم مثواهم ويتحمل الشدائد والخسائر للغرباء والمحتاجين وكان ذكي الفؤاد ثاقب القريحة ، يربأ بنفسه عن عبادة الاوثان والاصنام على معاشرته لقوم كانت الوثنية فطرتهم الثانية ، ودينهم الذي ورثوه عن آبائهم كابرا عن كابر ، ولا يطاطىء راسه لاحد من الخلق ، كان قلبه يحدثه بان لا شيء فى الارض او السماء يستحق العبادة ، وان الله واحد ليس له — ولا ينبغي ان يكون له — شريك فى الالوهية ، فكانه كان يتلألأ بين قومه الجاهليين الوحشيين كما تتلألأ الجوهرة الكريمة بين الاحجار الكثيرة او كما يتلألأ السراج فى ظلمة الليل .

ثم ترى انه بعد ان عاش فى قومه عيشة نظيفة رقيعة ، وبلغ اربعين سنة من عمره ، ضاق ذرعا بهذا الظلام المطبق على مجتمعه من كل جانب ، واراد لنفسه النجاة من هذا البحر الخضم من الجهل والفوضى والانحلال الخلقي والعملي والشرك والوثنية ، لانه ما كان يجد فيه شيئا يلائم فطرته ، فبدا يخرج من حيه ويقضي اياما طوالا فى غار فى عالم الوحدة والخلوة ، يزكي قلبه وروحه بالتحنث والصيام ويتامل ويطيل التامل وينشد نورا يقشع به الظلام المطبق على قومه ، ويريد شيئا يصلح به هذه الدنيا المملوءة باسباب الخبث والفساد والفوضى .

وهناك حدث فى حياته تغير عظيم ، واستنار قلبه فجاة بنور لم يكن فيه من قبل ، وامتلأ بقوة كان خاليا عنها حتى ذلك الحين ، فخرج الى قومه من خلوة الغار ونادى فيهم « ان اخلعوا هذه الاوثان والاصنام التي تعبدونها وهي لا تضركم ولا تنفعكم . فانه ليس فى الارض انسان ولا شجر ولا حجر ولا روح ولا سيارة تصلح لتطاطئوا رؤوسكم وتعبدوها ، وان هذه الارض والشمس والقمر والنجوم وما فى السماوات والارض من القوى ما خلقها الا الله وحده ، وهو الذي خلقكم ورزقكم ، وهو الذي يميتكم ثم يحييكم ، فلا تعبدوا غيره ، ولا تستعينوا الا اياه ، ولا تطلبوا قضاء حاجتكم الا منه ، ومن الاثم ما تاتونه من اعمال السرقة والنهب والفاحشة وادمان الخمر ولعب الميسر ، فانتهوا عنها ، والتزموا الصدق والعدل فى اقوالكم ، وصلوا الارحام ، وادوا الامانة ، ولا تقتلوا نفسا الا بالحق ، واحسنوا الجوار ، وكفوا عن الفواحش وقول الزور ، ولا تسلبوا الناس اموالهم ، ولا تاخذوا شيئا ولا تعطوه الا بالحق ، وكلكم بشر والبشر كلهم سواء ، انه ما جاء احد منكم بوصمة الذل ، ولا غيره بوسام الشرف ، فليس الشرف والفضيلة بالنسب ولا باللون والملبس ولا بالجاه والثروة ، وانما هما بالتقوى والصلاح والخير . فمن كان منكم صالحا يتقي الله وينهى نفسه عن السوء ، فهو الشريف الكامل فى انسانيته ، ومن لم يكن كذلك فلا شرف ولا فضيلة ، وهو من الخاسرين فى الاخرة ، وانكم مرجعون بعد موتكم الى الله ربكم ومسؤولون عن كل دقيق وجليل من اعمالكم فى محكمته ، دون ان تنفعكم فيها شفاعة او رشوة او علو نسب او شرف منزلة ، وانما ينفعكم فيها ايمانكم واعمالكم الصالحة . فمن كان منكم مؤمنا قد عمل الصالحات دخل الجنة ، ومن كان فاسقا لا يتقي الله ، خسر خسرانا مبينا وعذب بعذاب النار .

تلك هي الرسالة التي خرج بها من الغار .

ولكن ما بال قومه ناصبوه العداء وبداوا يؤذونه ويسبونه ويغمزونه باقبح الكلمات ويرمونه بالحجارة وينزلون به ما قدروا عليه من انواع الشدائد والآلام ، حتى اضطروه بعد ثلاث عشرة سنة الى الهجرة من وطنه ، بل لم يشفوا غليل نفوسهم حتى بعد ذلك ، وما فتئوا يعملون على ايذائه وازعاجه فى المدينة التي التجا اليها ، وحرضوا عليه العرب جميعا ، وجاذبوه حبل الحرب ثماني سنوات متتابعة . اما هو ، فقد تحمل منهم كل هذه الآلام والشدائد ، ولكن ابى الا الاستمرار فى دعوته الى الحق . لماذا ناصبه قومه العداء ....

الانه كان يطالبهم بشيء من متاع الحياة الدنيا او يريد ان ياخذ منهم ثارا ؟ كلا ، بل المنشا لهذا العداء منهم انه كان يدعوهم الى عبادة الله الواحد الاحد ، والتزام الصدق والامانة والتقوى فى حياتهم ، واجتناب الشرك ، وعبادة الاوثان والاصنام واعمال السوء ، ويتهدد دعائم زعامة الكهنة وسدنة البيت منهم بالهدم ، ويسفه احلامهم ، ويمحو الفرق القائم فيهم بين الرفيع والوضيع ، ويعد من الجاهلية عصبيا تهم القبلية والنسلية ، ويعمل على تبديل الاسس التي كان يجري عليها نظامهم للاجتماع منذ قديم الزمن . فكانت دعوى القوم ان كل ما ياتي به من مثل هذه الاقوال والاعمال مخالف لتقاليدهم القومية ، وطرقهم المتوارثة كابرا عن كابر ، فليتركه ، والا فانهم سيضيقون عليه الخناق وينغصون عليه الحياة .

انظر البقية على الصفحة 18



انا لا اخاطب غير المسلمين ، ولاادعو اهل امريكا واوربا الى الاسلام ، فما كان لي ان افعل ذلك وانا ارى المسلمين منحرفين عن تعاليم دينهم وما جاء به ، فهم اول من يدعى للتمسك بعروته الوثقى وهل اغنت الدعوات من هذا القبيل التي وجهت الى القوم بلغاتهم ومن طرف رجال لهم عندهم مكانة ، شيئا ؟

هذا (كوت) شاعر الالمان يمتدح الاسلام ويقول : « ان كان هذا هو الاسلام فنحن مسلمون » ولكن ما هي النتيجة العملية لهذه الدعاية من فيلسوف اديب ، ككوت والمانيا ما زالت من اكثر الشعوب تعنتا على الاسلام والمسلمين ، ومستشرقوها في طليعة الدساسين الذين شوهوا محاسن هذا الدين ، بله ما كانت عليه سياستها من اعتبار الفوارق بين الاجناس ، وكون العرب حملة الهداية الاسلامية احط جنس بعد اليهود ؟...

وهذا الفيلسوف الفرنسي (كينو) الم يرجح الاسلام على جميع المذاهب السياسية والاجتماعية والحلول التي وضعت لازمة المدنية الحديثة ، فلا الاشتراكية في نظره ولا الشيوعية ولا غيرهما من النظم الجديدة تستطيع ان تنقذ البشرية من هذه الازمة الخلقية والسياسية التي تتخبط فيها كما يستطيع الاسلام ، وكم اشاد بروحانية الشرق وسمو الاجتماع الاسلامي سواء في كتابه « ازمة المدنية الحديثة » او في كتابة « الشرق والغرب » او غيرهما تصريحا وتلويحا، ولم تكن النتيجة الا اقتناعه هو وحده بصدق نظره ، وارتحاله الى مصر يقضي شيخوخته بين التامل والتفكير في منزلة ، وعبادة ربه في ضريح سيدنا الحسين الى ان توفى .

واني لاعرف بعض تلاميذه الذين طبعهم بطابعه ، وخرجهم في مدرسته ، وهم مثله من اكثر الناس افتتانا بدعوة الاسلام ، وشغفا بمبادئه العليا وفلسفته النقية ، ولكن اين يجيئون من هذه الامة الفرنسية التي تعد اربعين مليونا . وهي برغم انف لا دينيتها ما تزال تعتبر ابنة الكنيسة البكر ، بما ترفع من سلطان الكثلكة على الاسلام ، وما تتجنى عليه وعلى اهله من بغي وعدوان .

وانكلترة التي تحككت بالاسلام والمسلمين قرونا عديدة ، والتي اشتهرت بحب الاغراب في كل شيء الم يدعها (اللورد هدلي) في كتابه المعروف الى الاسلام ؟ ثم الم يتنبأ كاتبها الفذ (شو) بان الاسلام هو دين العالم في المستقبل ؟ فهل بلغ ذلك الا الى حفنة صغيرة من اهلها اعتنقوا هذا الدين الحنيف وان بهم لحاجة كبيرة الى من يعرفهم حقيقته ويبين لهم اسراره من الوجهة العملية اكثر من الوجهة القولية .

واليابان ، بلاد الشمس المشرقة ، هذه الامة الوثنية التي كم تطلعت الى دين جديد يناسب حياتها الجديدة ، وكم عقدت فيها المؤتمرات للنظر والمقارنة بين الاديان ، وكان خليقا بها ان تصطنع الاسلام وتتخذه دينا لها من بين سائر الاديان مع ما انبث فيها من الدعاة الهنود وغيرهم المبشرين به وبمبادئه السمحة الا انه لم يبلغ فيها تعداد المسلمين الى ما قبل الحرب الاخيرة اكثر من عشرين الفا ؟...

فهل هذا من ضعف الدعوة او ضعف الدين ؟..

اما ضعف الدين فليس هناك من يقول به ، واما ضعف الدعوة فيمكن ان يقال انه لابد من جهود اكثر ، ومن طرق احدث ، للنفوذ الى قلوب المدعوين واصابة الهدف المقصود من اسلام شعوب اوربا وامريكا ، لو لم يكن هناك ما يعرقل نجاح هذه الدعوة ولو بلغت مابلغت من القوة ، ويشل حركتها ، وان اتخذت لها جميع الاستعدادات الممكنة ، الا وهو مخالفة حال المسلمين لمقتضى اوامر دينهم ، واستبدالهم حقائقه الناصعة واصوله العظيمة بالبدع والخرافات ، التي قادتهم الى بؤرة الجهل والرذيلة ، وجعلتهم مضرب الامثال في الذل والهوان ...

فالاوربي والامريكي والياباني حينما يرى المسلمين على ما هم عليه من الجمود والتاخر والجبن والخنوع واستيلاء الاجانب على بلادهم ، واستغلالهم لخيراتها دونهم ، وتجنيدهم لشبانهم في الحروب ، وعبثهم بمصايرهم ، وهم غير مستنكرين ، يحكم بانهم عبيد العصا ، وانهم لا كرامة لهم ، وانهم والحيوان الاعجم سواء ، وربما حكم ان دينهم يامرهم بذلك ، فاستنتج انه دين لا يجامع الحياة الشريفة والعزة القومية ، وانما يامر بالذل والاستكانة للقوى الغالب ، فكيف يرجى منه ان يقبل او يسمع من الدعاة اليه ..؟

والاغلبية من كتابهم على هذا الاعتقاد ، فانا نرى من تحليلهم للعقلية الشرقية، اي الاسلامية، وتفسيرهم لعقيدة القضاء والقدر عند المسلمين ، ما ينبئنا بحقيقة رايهم فينا وفي ديننا. وقد صارت لفظة (مكتوب) عندهم مما يتندر به علينا لانها ترمز الى الاستسلام والرضى بالواقع كيفما كان .

واذا كان هذا راي متقفيهم ، فما بالك بعوامهم ، وهم السواد الاعظم ، ويرشدك الى هذا محافظة المسيطرين فى البلاد الاسلامية على العوائد البالية والبدع الضالة ، بدعوى انها محافظة على الدين واحترام لشعور المسلمين ، وهم ان كانوا صادقين فى ذلك لم يخالفوا عما قاله الشاعر العربي حين قدم خيبر فقيل له ان شئت الا تؤذيك حماها فانهق ببابها عشر مرات :

وقالوا احب وانهق لا تضيرك خيبر
وذلك من (دين اليهود) ولوع
لعمري لئن عشرت من خشية الردى
نهيق حمير انني لجزوع

وهل هذا من دين اليهود؟ ولكن هل يكلف الاجنبي ــ كهذا الشاعر ــ نفسه بدراسة دين القوم حتى يعلم ما هو من دينهم وما ليس منه ؟ . . .

الواقع اننا بانحرافنا عن ديننا وعدم اتباع جادته، وتاويلنا لاصوله حتى يشايع اهواءنا، واهتمامنا بالنوافل منه دون الفروض ، قد نشرنا له دعاية سيئة بين الاجانب ، وفى الوقت الذي كثر فيه اهتمام الناس بامر الدين وتطلعت النفوس الى الحياة الروحية بعد فشل الحياة المادية فى اسعاد البشر ، فى هذا الوقت الذي يوجب علينا ان نعرض الاسلام اجمل عرض لنحببه الى هذه النفوس التواقة ، ترانا نصد الناس عنه صدا ونقيم بينهم وبينه سدا من اقوالنا وافعالنا واعتقادنا وسلوكنا فنجني عليه وعلى انفسنا من حيث لا نشعر .

فتلك عقيدة القضاء والقدر مثلا التي اصبحنا نعير بها . ويقال انها السبب الاول فى استسلامنا ، الم تكن هي الحافز لاسلافنا على خوض الموت والاستهانة بصعاب الحياة حتى بلغوا ما بلغوا من العز والسؤدد ، لانهم لم يكونوا ينتظرون الاحداث حتى تقع ثم يقولون هذا ما قدر الله ، بل كان الواحد منهم يهب لمقارعة الخطوب ومنازلة الحوادث ، فاما الى الصدر واما الى القبر ، فلما عكسنا نحن القضية وفهمناها فهما مقلوبا ، اخلدنا الى الارض ، وصرنا نتعلل بالاوهام . وكيف يصح ان يكون المكتوب حجة للمغلوب والله عز وجل يقول : **(ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون)**

فهذا احسن تفسير لهذه العقيدة ، وهو انه اذا كان الموت ــ مثلا ــ امرا مقدرا وقضاء محتوما فلماذا الجبن والخور والضعف والوهن مع ما اعد الله للشهيد من الثواب الجزيل والنعيم المقيم . . .

وهكذا كل تعاليم الدين الحنيف ، لو اقمناها كما امر الله لاستقام حالنا ونجح سعينا ، وادال الله لنا من عدونا ، وعلت كلمتنا على الكلم ، وكان فى ذلك دعاية واي دعاية للاسلام ، وظهور له واي ظهور على الاديان ، ولدخل الناس فيه افواجا وعمت هدايته العالم اجمع. فجربوا الاسلام ايها المسلمون . . .

تابع للصفحة 16

ثبوت العقلي للرسالة المحمدية

فما لهذا العبد الصالح يتحمل من قومه كل هذه الشدائد والمناوآت والمصائب دون ان يتطرق الى قلبه شيء من الوهن او الفزع والجزع . وهاهم اولاء قومه يعرضون عليه ان يملكوه على انفسهم او يجمعوا له الاموال حتى يكون اكثرهم ثراء على ان يقلع عما هو عليه من الدعوة الى ربه ، ولكنه يرفض كل ذلك رفضا باتا ، ويأبى الا الاستمرار فى دعوته ، لماذا ؟ . . . هل يرجو لنفسه فيما ان اصبحوا يعبدون الله ويلتزمون الصدق والامانة والتقوى فائدة مالية ؟ . . . فائدة لم تكن بازائها الرئاسة والامارة والثراء والوجاهة والرفاهة شيئا يلفت اليه ؟ . . . فائدة قد صبر فى سبيلها على ما ترتعد لهوله الفرائص من المكاره والشدائد فى الجسد والروح لاحد وعشرين سنة متتابعة ؟ . . ما كان يتحمل هذه الشدائد والالام فى سبيل نفسه، ولكن لصالح غيره من عباد الله على حين انهم يرمونه بالحجارة ويهينونه ويسبونه ويخرجونه من وطنه ولا يتركونه حتى فى الغربة يعيش عيشة الامن والسلامة . . . وكان لا يدعو لهم الا بالخير ، ولا يضمر لهم الا الود والاخلاص والنصح .

فهل لرجل كاذب ان يقاسي مثل هذه الالام والشدائد فى سبيل شيء لا اساس له من الصحة والواقع ؟ وهل لرجل يرجم بالغيب ويلقى الكلام على عواهنه ، ان يتفوه بشيء ثم يابى أن يتزحزح عنه قيد شعر دون ان يبالي ما ان كانت تنفتح عليه ابواب المصائب وتضيق عليه الارض ويظلم على وجهه المستقبل ويقوم له قومه بالمرصاد ويتآمرون على قتله ويؤلبون عليه الناس جميعا ويهجمون عليه فى مامنه ؟ ان هذا الثبات وهذه الاستقامة والعزيمة المنقطعة المثال لهي اكبر ما يدل على انه كان كامل الايقان بصدق دعوته وسداد موقفه ؛ وانه لو كان فى قلبه ادنى ذرة من الشك فى صدق دعوته ، لما استطاع بحال ان يثبت هذا الثبات فى وجه طوفان المصائب طوال احدى وعشرين سنة متواصلة .

(للبحث بقية)

معنى دعوة الحق





له دعوة الحق

لما كان اسم هذه المجلة « دعوة الحق » وكانت هذه الجملة من ابلغ كتاب الله جل وعلا ، وكله بليغ ، احببنا ان نجعلها بداية لهذا المقال ، ونجتهد أن نبين حاجة الناس الى دعوة الحق ، بعد ان نبين ما هي دعوة الحق .

دعوة الحق هي توحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته :

اما توحيد الربوبية ، فهو كما قال بعض العلماء الحكماء : ان توحد الله بافعاله ، بان تعتقد انه هو الخالق وغيره لا يخلق شيئا ، وهو الرازق وغيره لا يرزق شيئا ، وهو المدبر وغيره ليس له من الامر شيء ، وهذا واضح في قوله تعالى : (**قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تؤفكون**) .

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، امره الله ان يحاج المشركين الذين كانوا يأكلون خيره ويعبدون غيره ، فاحتج عليهم ، بما يقرون به ، وذكر خمسة امور : رزق جميع المخلوقين ، وامتلاك السمع والبصر اي وسائر القوى التي منحها الله الانسان ، واخراج الحي من الميت ، وعكسه ، وتدبير جميع الامور .

واخبر سبحانه ان المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معترفين بان الله هو الذي يفعل ذلك وحده ، فلم يدخلهم ذلك في الاسلام ، لقوله : قل **افلا تتقون** ، اي اذا كنتم معترفين بان الله هو الذي يخلق ويرزق ويملك ويدبر جميع اموركم وامور غيركم ، فلماذا لا تتركون الشرك به ، ولماذا تلجاون الى غيره في قضاء الحاجات وتفريج الكربات .

اذن ، فقول بعض المتكلمين في شرح معنى لا اله الا الله « لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقرا اليه كل ما عداه الا الله » هو شرح غير صحيح ، لان المشركين يعترفون بذلك ولم يدخلهم ذلك في الاسلام .

والصواب ان معنى لا اله الا الله ، ان العبد يقر ويعترف انه لا يعبد الا الله ، لان الاله معناه المعبود ، فقوله لا اله الا الله ، اقرار والتزام انه لا يصرف شيئا من عبادته لا قليلا ولا كثيرا الا لله .

وهنا نبين معنى توحيد العبادة ، ويسمى ايضا توحيد الالهية ، وهو ان توحد الله بافعالك ايها الانسان بالا تدعو غيره ، ولا تستعين بسواه ، ولا تستغيث ولا تتوكل ولا تلجأ الا اليه ، فهذا معنى لا اله الا الله ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : من قال لا اله الا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ... الحديث

وقال تعالى (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) .

فمن لم يكفر بالطاغوت ، وهو عبادة غير الله ، لا تصح له عبادة ، قال تعالى : **قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد**) فنفى عنهم عبادة الله مع انهم كانوا يحجون ويتصدقون ويدعون الله ، بل ويوحدونه اذا مسهم الضر في البحر ، ثم يشركون به في الرخاء ، ونفى عنهم العبادة ، لان من اشرك مع الله شيئا بطلت عبادته ، وردت عليه .

وفي الحديث القدسي : انا اغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه . وفي رواية : انا خير الشريكين .

وهذا الحديث تفسير لقوله تعالى في سورة الانعام: « وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » . فالله لا يقبل الشركة في شيء من العبادات في صدقة او نذر او دعاء او استغاثة او غيرها، بل يترك ما جعل له للشريك الآخر .

فدعوة الحق تشمل التوحيدين : توحيد الربوبية وتوحيد العبادة ، والناس في اشد الحاجة الى من يتلطف بهم ، الى ان يخرج ما في قلوبهم من الشرك والكفر الناشيء عن الجهل ، ويدخل فيها دعوة الحق ، وهم احوج الى هذا منهم الى الطعام والشراب والنفس ، اذ لا يصلح لهم دين ولا دنيا الا بالتوحيد ، ولا يتمتعون بصحة عقل ولا جسم الا بالتوحيد ، ولا يحافظون على اعراضهم واموالهم الا بالتوحيد .

ومن توحيد العبادة جعل الحكم لله ، فلا واجب الا ما اوجبه ، ولا محرم الا ما حرمه ، ولا مستحب الا ما احبه ، ولا مكروه الا ما كرهه ، ولا مباح الا ما اباحه ، ولا واسطة في تبليغ ذلك الا محمد رسول الله .

فمن كان من اهل العلم وجب عليه الا يفتي ولا يقضي الا بحكم الله آخذا من كتابه او مما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويحرم عليه أن يفتي او يقضي بالتقليد ، والا كان احد القاضيين ، وفي الحديث : **قاضيان في النار وقاض في الجنة ، قاض عرف الحق وحكم به فهو في الجنة ، وقاض قضى بالجهل فهو في النار ، وقاض عرف الحق وحكم بخلافه فهو في النار .**

فالقاضي المقلد، والمفتي المقلد، ينطبق عليه الوعيد .

قال تعالى في سورة الشورى : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) وهذه نكرة في سياق العموم، لا تترك حكما مما دق وجل الا اتت عليه ، فمن جعل الحكم لغير الله فقد اشرك ، وجعل مع الله الاها آخر .

وفي الحديث ان عدي بن حاتم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد فر منه الى الشام ، ووفدت عليه اخته فاكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعتقها في هربه ، واشارت عليه بالتوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما جاء كان في عنقه (اي في عنق عدي) صليب ، فقال له النبي (ص) : ياعدي ، الق عنك هذا الوثن ، ووجده يقرا سورة براءة ، حتى انتهى الى قوله تعالى : اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم، وما امروا الا ليعبدوا الاها واحدا ... الاية . فقال : يا رسول الله ، انا لم نكن نعبدهم، فقال : اليس كانوا يحلون لكم فتتبعونهم ، ويحرمون عليكم فتتبعونهم ، قال بلى ، قال فتلك عبادتهم .

واما من لم يكن من اهل العلم ، فواجب عليه ان يسال الاعلم الاورع الا تبع للسنة في اعتقاده عن حكم الله ، فاذا قال له هذا حكم الله، اخذه وقد برئت ذمته.

وفي الحديث المرفوع : من افتى بغير ثبت فانما اثمه على من افتاه . وهذا توحيد الاتباع ، وهو معنى (محمد رسول الله) لان الذي يقول : محمد رسول الله، قد أقر واعترف انه لا يتبع الا محمدا ، ولا يهتدي الا بهديه ، ولا يستن الا بسنته ، ولا يتخذ واسطة بينه وبين الله يعرف به الهدى من الضلال غيره .

هذه اشارة الى مبادىء دعوة الحق ، وقد جعل الله سر الدعوة في المشافهة والمخاطبة ، وان كان في المطالعة والقراءة هدى وخير كثير ، الا ان الناس وخصوصا العامة لا يكادون يستغنون عن الداعي المرشد الذي يتلو عليهم كتاب الله وسيرة رسوله وسنته ، ويشرح ذلك لهم ، فيفتح الله به عيونا عميا وآذانا صما

وقد اعترف احد من زار المغرب من اهل المشرق — مع انه ليس من المستمسكين بالدين — ان هذا الفتح المبين الذي فتح الله للمغاربة في مدة سنتين اثنتين ، فاراح عنهم عذاب الاستعمار ، وبسط عليهم ثوب الحرية ، ورد عليهم ملكهم وامامهم ، لم يقع مثله لشعب عربي ولا عجمي سواهم ، قال : ولا نجد لذلك علة الا التمسك بالدين .

هكذا قال في محاضرة سمعها خلق كثير في بغداد وانا اقول مع موافقتي لهذا المحاضر : ان الوثبة التي وثبها ملك المغرب سيدي محمد الخامس ، هي وثبة محمدية حنيفية ، احيا بها الله المغاربة ، فاقتفوا اثره ، واقتدوا به في الجهاد ، فكشف الله عنهم العذاب ، وهم في اشد الحاجة الى من ينور بصائرهم ويفتح لهم مددا لا ينضب معينه ، وذلك هو كتاب الله وحديث الرسول، فتحا يؤلف بين قلوبهم ويزيل اضغانهم ويجمعهم على طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة هذا الامام الذي ولاه الله امرهم ، وبذلك يشكرون نعمة الله فيزيدهم وتتكاثر عليهم النعم ، ويكونون قدوة لغيرهم من المسلمين .

وفي الختام نسال الله ان ينصر الامام محمدا الخامس ، وسائر المجاهدين في سبيل الله من الائمة والاتباع ، وان يكشف العذاب عن اهل الجزائر واهل فلسطين واهل عمان، وسائر المستضعفين من المسلمين وغيرهم ، ممن لا يحارب دين الاسلام ، وان يؤيده بروح منه ولي عهده وقائد جنده مولاي الحسن ، ويختم للجميع خير ختام .

الدراسات الاسلامية بامريكا

يطيب لنا ان نقدم لقراء « **دعـوة الحـــق** » هذا المقال القيم الذي كتبه مستر روم لاندو خصيصا لهذه المجلة . وكاتبه روم لاندو ذائع الشهرة لا يحتاج الى تعريف، وليس هناك من المغاربة من يجهل ما قام به من جهود للمشاركة فى معركة استقلال المغرب ومناصرته، سواء بالقلم او بالمحاضرات بانجلترا وامريكا. وقد نشر عدة مؤلفات عن المغرب ، وخصوصا عن جلالة الملك محمد الخامس المعظم ، وترجم بعضها للغة العربية ؛ وقد اصبحت مؤلفاته من المصادر التي يرجع اليها فى تاريخ الازمات الاخيرة التي اجتازها المغرب قبل الاستقلال .

ولا زال يعرف بالمغرب فى الاوساط الامريكية كما سيعلم القراء ذلك فى مقاله هذا .

وقد زار المغرب من جديد فى هذا الشهر وتفضل صاحب الجلالة فاستقبله الاستقبال اللائق باصدقاء المغرب ، وقد كان منحه وساما رفيعا جزاء له على كفاحه فى سبيل القضية المغربية .

عبد الكبير الفاسي

بقلم الكاتب الانكليزي روم لاندو
تعريب الاستاذ عبد الكبير الفاسي

اكتب هذا المقال بصفتي انجليزي من النصارى ، واستاذ للدراسات الاسلامية فى كلية امريكا ، وكوني لست مسلما لربما خولني ذلك استعدادا للتجرد فى الحكم، على انني مقتنع بان فى الامكان اليوم اكثر من ذي قبل ، مناقشة الاسلام بتجرد يكاد يكون اسلوبا من اساليب العلم . فهناك من ينتقدون الاسلام على انه دين خرافى ، والدين الذي يدعو للجهاد ، والدين الذى لا يعرف التسامح ، ذلك من جهة ، ومن جهة اخرى فهناك من يقولون عن الاسلام انه الدين الحق الوحيد ، ولو ان العالم كله اعتنق الاسلام لعاش فى خير وسلام مدى الدهر .

وساحاول فى هذا المقال ان اتحدث عن الاسلام كما يتحدث رجل غير مسلم ، غير انه يهتم بمشاكل الاسلام هذه مدة تنيف على ثلاثين سنة ، وهو الى ذلك يعمل جهده لشرح الاسلام لطلاب امريكيين ، لم يسبق لهم ان سمعوا عن الاسلام شيئا ولو اسمه . وقد ثبت لدي فى تجربتي مع هؤلاء الطلاب ، ان الذي ينطبع فى اذهانهم عن هذه الديانة هي بساطتها وموافقتها لواقع الحياة ، وخلوها من الخرافات ، وطابعها بطابع توحيد الله تعالى توحيدا لا شائبة للشرك فيه .

واهم ما يتاثرون به من اخلاق الرسول محمد، هو شعوره الخارق للعادة بضرورة نزوله على ما يقتضيه واقع الحياة من البشرية . فمن ذلك انهم يعتبرون تسامح النبي فى مشكلة الزواج شيئا كبيرا ، لان التزوج من امراة واحدة بين النصارى لا يوجد الا نظريا ، اذ يخالف واقع الامر فيهم هذا المبدا النظري ، ويستدلون على ذلك الشعور المذكور بنوع التشريع الاسلامي ، لان منهم من لا يرى ان القرءان من كلام الله ، ويعتقدون انه تعبير عن سمو النبي نفسه فى عالم الروحيات .

ومما يستدعي اهتمامهم فى التشريع الاسلامي على كل حال ، قابليته للاجتهاد ، تلك القابلية التي مكنت الفقه الاسلامي من التطور فى اطار القرءان .

ولا يقتصر فى الكلية التي ادرس فيها على دراسة الاسلام ، بل هناك اقسام لدراسات الديانات البودية والبراهمانية ، كما ان هناك من الطلاب من درسوا كبريات الديانات الشرقية الاخرى .

ومن البديهي ان يخطر ببالهم ضرورة مقابلة هذه الديانات بالاسلام ، وكثيراً ما صرحوا لي بانهم وجدوا ان الديانات البودية والبرهمانية تنبنيان على شيء من الوهم ، وان مبادئها عديمة الصحة لا تلمس . بينما لا يوجد شيء من ذلك في الاسلام ، لان الاسلام يجيب اجوبة ملموسة عن المشاكل التي تشغل الفكر البشري .

وانه لمن المفيد ان يلاحظ الانسان الفرق بين طلاب الدراسات الشرقية وبين طلاب الدراسات الاسلامية . ويوجد من بين اولئك افراد لا يعرفون حق المعرفة غايتهم من الحياة ، ويستبدلون بسهولة فلسفتهم باخرى ، ويفضلون الدراسة على انهم غواية من غير محاولة ليصبحوا ذوي كفاءات ، وبالعكس من ذلك ترى طلاب الدراسات الاسلامية ذوي عقلية متفقة الجوانب ، ذات جد ، لا ترتاح للوهم ، مصممين على ان يصبحوا ذوي خبرة في الدراسات التي جنحوا لها .

ومن الواجب علي ان اقر ، أن من بين طلبتي في الدراسات الاسلامية ، من لا يستسيغون نظريات الاسلام في يسر . فالجهاد مثلاً مما يصطدمون به ، لان الدعود للسلام شيء شائع الآن في الولايات المتحدة ، فمنهم من لا يعرفون كيف يصرفون الآيات القرءانية الداعية للجهاد ، وكذلك الامر فيما يخص ءايات الردة ، ويقولون بان من مقتضيات العهد الذي نعيش فيه ، عهد الحرية والديموقراطية ، ان يكون لكل احد الحق في استبدال ديانته بديانة اخرى . ويتساءلون في ءاخر الامر :

« اذا كان الاسلام حقا دينا ساميا واذا كان في صفاته تعبيراً عن ارادة الله ، فكيف والحالة هذه ، نعلل المظالم والحروب التي دارت رحاها في العالم الاسلامي ؟ وهم لا ينكرون ان مثل هذه الحروب ومثل تلك المظالم، قد سالت من اجلها الدماء في عالم المسيحية ، غير انهم يقولون : ان المسيحيين لا يعتقدون ان كل كلمة كلمة من التوراة هي من كلام الله . فاذا كان القرءان من كلام الله حقا ، فكان عليه ان ينبئنا بوقوع جميع تلك الكوارث التي وقعت في عالم المسيحية ، في العالم الاسلامي . وانا اذ اذكر هذا الانتقاد ، لا اعبر عن نظرية شخصية في الموضوع، ولكن قصدي هو التمثيل ببعض المشاكل التي تسترعي اهتمام طلاب الدراسات الاسلامية بامريكا .

ولعله من الضروري ان اضيف الى ذلك ، ذكر بعض القضايا الاسلامية الاخرى التي تهم اولئك الطلبة، فالاولى هي الاسلام كدين — والثانية شخصية نبي الاسلام محمد ، تلك الشخصية التي كثيرا ما تسحرهم فنحن نقضي الساعات الطوال في الجدال حول هذه الشخصية القوية الوحيدة من نوعها بين شخصيات العالم .

ومن البديهي ان لا يدرس الاسلام علميا مع اهمال الكبار من فلاسفته . وبذلك نتوصل الى العمق في تفهم الاسلام بواسطة دراسة رجاله . مثل الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد . وحيث ان فلسفة الاسلام هي قريبة من التصوف ، فليس في الامكان ان نهمل دراسة التصوف نفسه ، والذي يأخذ كثيرا من الوقت المخصص لهذه الدراسات ، هي تلك الشخصية العجيبة المتناقضة ، شخصية محيي الدين ابن العربي ، وهو في نظري المفكر الوحيد من بين مفكري الغرب الذي استطاع ان يجد حلا كاملا لمشكلة الثانوية في العالم .

واما تاريخ الامم العربية فانه يهم الطلبة اقل من الشؤون الاخرى ، رغما عن كونه من مواد الدراسات التي يدرسونها بتفصيل ، وهم يهتمون اكثر من ذلك بشؤون العروبة ، وبالمشاكل التي يواجهها الاسلام في العصر الحاضر . ولذلك فاننا ندرس العلوم السياسية في علاقاتها مع العالم الاسلامي ، واخيرا فاننا نخصص قسطا من الزمان للمملكة المغربية ، لان كليتنا هي الوحيدة في امريكا التي اخذت وحدها تختص بدراسات حول المغرب .

ولربما كان من المفيد ان يعرف القراء الكرام اننا احدثنا في مدينة سان فرانسيسكو ، مركزا اسلاميا ليس اعضاؤه في الغالب لامن الطلبة ولا من العلماء ، وهم في جملتهم من مطلق الناس ، من صغار التجار والموظفين والمزارعين ، ولكنهم ولدوا مسلمين ، اما من اصل عربي يمني ، او شامي ، او هندي .

وانا ممن يديرون هذا المعهد ، وغرضنا اولا هو تشييد مسجد في مدينة سان فرانسيسكو، وقد تفضل صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز فانعم علينا باربعة ملايين من الدولار لتحقيق هذا الغرض ، ونكتفي الآن باجتماعات دورية تلقى اثناءها احاديث حول قضايا العالم الاسلامي ، كما تعرض على الحاضرين افلام تتعلق بنفس الموضوع ، وارى لزاما علي ان اصرح بان اكثر الناس مواظبة على هذه الاجتماعات ، ليس اولئك الذين ولدوا في الاسلام ، ولكنهم المسلمون من الامريكيين الذين اعتنقوا الاسلام بعد ما ولدوا مسيحيين .

وانه لمما يبعث على الامل ، ان يوجد في ولاية كاليفورنيا ، وهي ابعد ولاية من كل بلاد اسلامية امريكانيون يهتمون جديا بالاسلام ، وان بين الطلبة من هم مستعدون لتكريس حياتهم كلها التعمق في فهم هذه الديانة كل التفهم . ولعل هؤلاء هم الذين سيكون منهم المبشرون بالاسلام في هذا الجانب من القطر الامريكي الواقع على المحيط الهادي .

ان شاء الله

روم لاندو

عودة محمد الخامس

للاستاذ :
عبد المجيد بن جلون



نظمت هذه القصيدة ـ التي تنشر اليوم لاول مرة ـ فى نفس اليوم الذي نقل فيه جلالة الملك المجاهدسيدي محمد الخامس من منفاه السحيق، ليعود الى ارض الوطن منصورا مظفرا مكللا بتاج العزة والمجد والفخار ، فكانت سجلا للمعركة الحاسمة بجميع اطوارها، من يوم ان امتدت يد الطغيان الى سيد البلاد لتبعده عن شعبه وعرشه ، الى اليوم الذي تحققت فيه كلمة الشعب ، فعاد الملك الى عرشه ، ليزف للشعب بشرى انعتاقه من قيود الاستعمار، وليعلن له انه اصبح منذ اليوم حرا مستقلاعزيز الجانب موفورالكرامة

ولن نقدم الاستاذ عبد المجيد بن جلون للقراء ، فهو فى غنى عن كل تقديم بما عرف به من وطنية مثالية صادقة ، ومن ماض طويل فى الكفاح ، ومن اخلاص للعرش لاحد له

ولن نقدم القصيدة ايضا ، لان كل قارىء سيجدها صدى لما يتردد فى نفسه من عواطف واحاسيس ومعاني نبيلة .

دعوة الحق

مجيد فى الغياب وفي المقام ... منار في الضياء وفي الظلام

لعمرك لن يضل الدهر شعب، ... رسمت له الطريق الى الامام

هزمت رعونة الطغيان حلما ... واخجلت العبوس بالابتسام

ولما زلزلت افكا وجورا ... وشرد كل مقتدر وحامي

وافعمت المجاهل والمنافي ... واترعت المقابر بالانام

وجرد سوطه العدوان حقدا ... على الاحرار ·· والعدوان دام ·

وديس الورد فاقتحمت خدور ... على رباتها شر اقتحام

تخايل في عيونهم سراب ... وظنوا الشعب كب الى الرغام

وانك لم تعد غرضا منيعا ... عزيزا ··· بل تمزق بالسهام

ويوم تطاولوا في العيد غدرا ... تنمر شرهم نابا وظفرا

وجردت الجيوش على مليك ... سما ايمانه عسرا ويسرا

لقد خطفوه غدرا وهو حر ... وسيق الى الاسار فظل حرا

وبالوجدان كان القصر سجنا … وبالايمان كان السجن قصرا
وقد ساموه تنكيلا ومكرا … فغالب كيدهم حلما وصبرا
وقاوم كل عدوان اثيم … ببسمته الحنون تشع سحرا
فلم تخمد لهم حقدا دفينا … ولم تطفيء لما في الصدر جمرا
وكان لهم من الطغيان عون … وكان الله للماسور ذخرا
فصارع نجمه الانواء حتى … تالق في الظلام وبات بدرا
وفاضت سيرة السجان خزيا … وفاحت سيرة المسجون عطرا

ولكن شعبك اضطرم اضطراما … وجرد للمقاومة الحساما
واقسم بعد نفيك في اعتداد … لينتقمن للشرف انتقاما
فاما عدت منتصرا عزيزا … واما بات عاليها حطاما
وكيف يفل عزته دخيل … به قحة ، ويختطف الاماما
ويسلم وهو ظلام عنيد … وشعبك خير من خفر الذماما
اما علم الدخيل بان عرشا … يشاد على المحبة لن يراما
وان البغي مرتعه وخيم … وان لكل طاغية فطاما ؟
اما خبر الدخيل كفاح شعب … ابى ان يستباح ويستضاما ؟
وكافح واستمات مدى قرون … وطارد كل مقتحم وحامي
فلا كنا اذا اختطفوك يوما … وذاقوا بعد جراتهم سلاما

وما ذاقوا سوى مر الدموع … ولا عرفوا سوى قاني النجيع
اتاهم امرنا قدرا مبيدا … فلم يجدوا هنالك من شفيع
تهاووا للثرى صرعى وجرحى … الى الاذقان خروا في خضوع
ونادى بين اظهرهم مناد … الى خوف ومسغبة وجوع
وفي اسوارهم نفخت عواد … فخرت كالصريع على الصريع
وذاقوا الويل اصواعا بصاع … فاذهلهم وهاموا كالقطيع
ونادوا للوفاق فلم تجبهم … سوى النيران تقصف بالجموع
فاما اصبح السلطان حرا … وحررنا من القيد المنيع
واما تستحيل الارض قبرا … يضم رفاتكم بين الضلوع

فقالوا انتم الاحرار في الار
ض والسلطان آذن بالرجوع

حذار من الخداع فكل يوم
يضيع سدى يزيد كم ابتعادا

ولا تنسوا اذا ما الشعب يوما
اراد فلا مرد لما ارادا

الم يعد المليك الحر حرا
لان الشعب ناداه فعادا

واشرق قصره بالنور بعد الـ
ـخمول ... وكان يلتفع السوادا

فرضنا الراي فلنفرض سواه
اذا المستعمر الباغي تمادى

لنفرض ان نجرر كل شبر
كراهية ، ونفتك البلادا

اذا لم يات هذا الامر طوعا
اتى قسرا وغصبا ... بل جهادا

نرى استقلالنا حقا وانا
اذا المستعمر الباغي تمادا

وللاحرار ايد صادقات
تصافح او تنازل من ارادا

ترى ماذا تخبئه الليالي
لكم فينا ... احتفالا او حدادا

تابع للصفحة 13

بين الجمود والجحود

وقد بدا لي ان المناظرة ستجول في ميادين شتى، يركب كلا الطرفين فيها شططا ، ويعتقد فيها ما يعتقد غلطا . وحين كنت انت تعرف مذهبي ، وما كنت اعتقد عليه نيتي ومعتقدي ، وكنت انت حيث كنت في الاخذ بالايدي الى الحق برفق وهدوء ، ارى انه يتعين عليك الحضور لتكتب محضر الجلسة ، لئلا يذهب ما يمضي بيننا سدى ، فلعل ذلك ينفع في رجال اسرة اخرى وقع فيها ما وقع في اسرتنا من افكار مختلفة ، وآراء متضاربة ، ومبادىء متعاكسة ، وما اكثر اليوم امثال هذه الاسر في قطرنا هذا الذي يجتاز طورا صعبا يتناطح فيه الجديد والقديم ، ويعيش اهله بين جمود وجحود .

هذا ، ولا تنس ان ظهر لك حضور هذا المجتمع، ان تجتاز على كل هؤلاء الاخوة الثلاثة فتبيت عند كل واحد منهم ليزدادوا بك تعرفا ، فان ذلك اكثر اطلاقا لالسنتهم حين المناظرة ، ووص الاخ الاكبر السيد العربي على مدلول قوله تعالى : وقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى . وقوله ايضا : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . وقوله ايضا : وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين .

فانني ارجو ان سلك هذا المسلك ، ان تنجح في الاخ حماد هداه الله ، وكذلك داول ذلك مع حماد ليراعي شيبة اخيه وحق تربيته ، فلا يقول في الدين ولا في كل ما يناظره فيه الا ما يراه حقا ، وليجعل عينه الى تطلب الحق ، فانه لا يعوزه الوصول اليه متى تطلبه بادبه ، فالادب اساس المناظرة ، ولا تنس ان تقول له ما قال شكبير : (اطلب ما تريده بابتسامتك فذلك خير من ان تشق طريقك اليه بسيفك) وما قال مانغون اليس من خطة التصرف افضل من الادب ، ما دام الادب ينجح غالبا حيث يفشل افصح لسان) فاكد حماداعلى ان لا يستحقر اخاه ومربيه ، وان لا تحمله مرتبة الدكتوراه على احتقار شيخ مسن قضى عمره على النمط القديم ، فان ذلك يتنافى مع ادب المجالسة ، فقد قال فريد دوغلاس : (ان لنكلن هو اول رجل عظيم تحادثت واياه بحرية في الولايات المتحدة ، فلم يذكرني في حادثة واحدة بما بيني وبينه من الفرق واختلاف اللون) فقد كان دوغلاس أسود، والاخر رئيس الولايات المتحدة وبطل حربها لتحرير العبيد .

ولا تنس الاخ الآخر التعس ضحية الافيون والحشيشة ، وان كان ـ على ما ارى ـ لا يرجى منه خير وان كان الياس منه لا ينبغي ، فالنواصي بيد الله يقلبها كيف شاء ، فان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ، ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

وختاما استعجل منك برقية ان ظهر لك ان تجيب هذا المقترح ، والى اللقاء

صاحبك ابراهيم

يتبع

جهاد جيل

للاستاذ
عبد الوهاب بن منصور

فى الثامن عشر من شهر نوفمبر الحالي ، تحل الذكرى الثلاثينية لجلوس جلالة الملك المعظم ، محمد الخامس ، على العرش المغربي المجيد ، ولا جرم ان الاحتفال بالذكرى سيمتاز هذه السنة عن الاحتفالات المتقدمة ، فعيد العرش لن يكون هذه المرة مجرد مناسبة سنوية يمتن فيها المغاربة الروابط التي تربطهم بالعرش ، ويظهرون الولاء والاخلاص للجالس عليه ، وانما سيكون فوق ذلك عيدا لانتصار رائع ، توج به جهاد جيل كامل صرف مقاليده محمد الخامس بمهارة ضد الاقطاعية والاستعمار .

والمؤرخ المنصف لا يسعه الا أن يعد الثلاثين سنة الماضية مرحلة تحول حاسمة فى حياة الامة المغربية ، كما لا يسعه الا ان يعترف بفضل محمد الخامس على هذا التحول الذي صرف المغرب من وجهة الى وجهة ، وفتح فى وجهه الطريق نحو تطور عام شمل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلها .

كانت ولاية محمد الخامس سنة 1927 نقطة الانطلاق نحو مصير جديد ، لقد كانت البلاد عندما ولي الملك فى حيرة وذهول ، من اثر الصدمة التي اصابتها بالحماية واخفاق ثورة الريف ، تلك الثورة التي كانت ترجو من ورثها استرجاع الحرية والاستقلال ، وباخفاقها ضعف الامل فى نجاح المقاومة التي استمرت تقوم بها بعض القبائل بالاطلس والصحراء ، لان الحماية عمدت الى اساليب مادية واخرى نفسانية تجعل نجاحها امرا بعيدا : حراسة صارمة على شواطىء المغرب البرية والبحرية ، وتقسيم اداري يجعل التنقل بين نواحيه اشد وطاة من التنقل بين دولة ودولة ، وشيوخ الطرق والعلماء الانتهازيون يدعون الى الخضوع والاستسلام ، وسياسة التفقير والتجهيل تسير بخطى ثابتة فى الطريق التي خطها دهاقنة الاستعمار ، والدول الاسلامية مغلوبة على امرها ، منهمكة فى تضميد جروحها ، وحتى الصيحات التي كانت تتعالى من افواه الاحرار فى الشرق والغرب ، لم يكن يسمع صداها فى المغرب ، لان الدولتين الحاميتين آلتا على نفسيهما ان تحولا بين الكتب والجرائد الاصلاحية والتقدمية وبين الوصول الى منطقتي الحماية ، فكانت العقول فى حيرة ، والنفوس فى ياس او ما يشبه الياس ، ولم يبق رجاء الا فى احد امرين حرب عالمية يعلو فيها السافل ويسفل العالي ، او لطف خفي من الحكيم العليم الذي اعتاد ان ينصر المستضعفين ويجعل لهم من الحرج فرجا .

وفعلا تدارك الله الامة المغربية بلطفه يوم 18 نوفمبر سنة 1927 عند ما اخذت لمحمد الخامس البيعة بقبة النصر بفاس ، وكانت بيعته ايذانا بعودة الثقة الى النفوس ، واستئناف الصراع فى شكل جديد .

كان جلالته يومئذ فى الثامنة عشرة من عمره ، فتي البشرة طري العود ، ولكنه على صغر سنه راجح العقل ، واسع الادراك ، عميق التفكير ، فقد اخذه المرحوم والده المولى يوسف بالتعليم منذ الطفولة ، وانتقى له من المعلمين اغزرهم مادة واقومهم اخلاقا ، فترعرع بين ايديهم ينهل من موارد العلوم والفضائل ويعل ، وسافر مع والده فى السنة التي سبقت تربعه على العرش الى اوربا ، فشاهد عن كثب عظمة الصناعة وتبحر العمران ، ورقي المجتمع ، فعرف سر تقدم اوربا ، وقدر فى نفسه كيف تكون حال المسلمين لو انهم يجمعون بين المحافظة على قيمهم الروحية والاخذ بكثير من الاسباب التي اخذت بها اوربا . ولم يبلغ الحلم حتى كانت مخايل العظمة والنبوغ تلوح فيما يلفظ من قول ويأتي من عمل ، وكانت نفسه الكبيرة فى اصطراع عنيف نتج عن حسرتها على ما آلت اليه حالة المسلمين ، واملها فى رؤيتهم يستشرفون العظمة ويتسنمون ذروة الكمال ، ولو رآه يومئذ احد كهنة عصور النبوءآت لقال فيه ما كان يقال منذ مئات القرون فيمن على شاكلته من المصلحين : سيكون للفتى شان عظيم .

وقد كان له بالفعل شأن عظيم .

ففي الخطاب الاول الذي وجهه جلالته الى شعبه يوم تبوأ العرش اهاب بالامة المغربية الى التربية والتعليم. ولم يكن فى الامكان ان يقول جلالته اكثر من ذلــك ، ولكنه فى الحقيقة قال كل شيء فجميع الجائحات التي عصفت بنضارة المغرب انما اتته عن طريق الجهالة ؛ وكل محاولة لوقايته منها بغير العلم مآلها الفشل الذريع، وقد اخطأ جميع المفكرين الذين حاولوا اصلاح مجتمعاتهم بغير وسيلته ، قد يؤلفون الاحزاب حول فكرة ، وقد يقودون الجموع نحو النصر فى معركة ، ولكن اعمالهم فى الاخير تذهب هباء ، لانها بنيت على شفا جرف هار . والمفكرون الناجحون هم الذين لا يستعجلون النصر والظهور ، وانما يترقون بامممهم فى السلم الطبيعي ، ويبدأون بالاسس قبل الجدر ، وبهذه قبل السقوف ، متيقنين ان المقدمات تاتي مهما طال الزمن بالنتائج ، وان الزرع لابد ان يتبعه حصاد ، وهذه الخطة الاخيرة هي التي اخذ بها محمد الخامس ، وهي التي تيقن انه بها لابد يعثر على مكامن الضعف واماكنه فى قلوب الحماة الفرنسيين ، فانهم يجاهرون بالعداوة لكل شيء ، ولكنهم لا يستطيعون المجاهرة بعداوة التعليم ، وقد يؤاخذون على اي عمل ، ويشكون فى اية نية ، ولكنهم لا يؤاخذون – علنا على الاقل – بالدعوة الى فتح المدارس ولا يشكون فى نية الراغبين فى المعرفة ، سيما وهم يزعمون ان لهم مهمة تمدينية فى المملكة المغربية ، وكان على جلالته ان يحارب فى ميادين ميدان الاكثار من المدارس ، كيفما كان نوع التعليم فيها ، وميدان المحافظة على الدين الاسلامي واللغة العربية بجعلهما مادتين اساسيتين فى برامج التعليم واذا كان جلالته نجح كل سنة فى فتح مدارس جديدة ، ورفع الاعتمادات المخصصة لها من الميزانية العامة ، فانه لم ينجح فى ان يكون الاسلام والعربية مادتين فى تعليم المدارس الحكومية ، لذلك لم يكن بد من الالتفات الى التعليم الديني ، واصلاحه ، وجعله الاساس الذي تنبني عليه فكرة المحافظة على العروبة والاسلام فى المغرب ، فانشأ النظام فى القرويين ، وادخل على التعليم فيها بعض الاصلاحات ، ورتب فيها المدرسين يلقون دروس الدين واللغة على مآت الطلبة الذين يؤمون مدارسها من مختلف انحاء المغرب ، ومن الجزائر والسودان ايضا ، والحق ان محمد الخامس عرف كيف يسدد السهم الى المقاتل باصلاح التعليم الديني وتنظيفه ، فانه لم تمض الا سنوات قليلة حتى اخذت ارحام المغاربة تتمخض بجنين ، سيكون له فى الفضاء دوي وفى الاذان طنين ، وهكذا لم تكد فرنسا تتخذ قرارها بمنع القبائل البربرية من التحاكم بالشرع الاسلامي ، حتى تصدى لها الرعيل الاول من طلبة التعليم الديني . وفى طليعتهم ابناء القرويين . فكانوا هم الذين نظموا الاحتجاجات . وقادوا المظاهرات ، وطرحوا ارضا امام المراقبين الفرنسيين يجلدون بالسياط جلد العبيد ، وهال الفرنسيين موقف شباب التعليم الديني ، فحاول استمالته الى جانبه مرة بالترغيب ومرة بالترهيب . فما افلح قط شيء من ذلك، بل كانت محاولاته لا تزيد النار الا تاريثا ، وهكذا ظهرت فى البلاد حركة فكرية بعضها يميل الى الاصلاح الديني ؛ وبعضها يظهر نشاطا فى الادب والفن ، فانبرى الشبان لالقاء الدروس الوعظية ، ونظم الاشعار الحماسية ، وتاليف الجمعيات والاجواق الادبية والفنية وعلى الجملة؛ فانه لم تخمد فرنسا المقاومة المسلحة سنة 1934 حتى كان جنين المقاومة الوطنية يعلن عن وجوده باستهلال بديع !

وتابع محمد الخامس جهاده العلمي ...

والتفت محمد الخامس الى السبل الاخرى التي نفذ منها الشر الى المغرب فالفى امامه سبيلا ملتويا كله عوج وامت ، يقف الشيطان فى اوله ، ويرحب الطاغوت بالسالكين فى وسطه ،وفى آخره جهنم يفوح منها النتن والعفن ، ولم يكن هذا السبيل الا سبيل الطرقية والتصوف الكاذب فقد تبنى الاستعمار جماعة شيوخهما الادعياء ، واغدق عليهم نعمه الظاهرة والباطنة ليعينوه على القضاء على الاسلام وهجران القرآن ، فاسترقهم حتى اصبحوا له اطوع من بنانه ، وصاروا وكان فيهم انزل الله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا) لقد حول اولائك الشيوخ زواياهم عن القصد الذي انشئت له الى قصد معاكس ، وجعلوا منها مراكز للتجسس ومكاتب للاستعلامات ، وقاموا باعمال مخزية لاخماد نار المقاومة باسم الدين او امر رب العالمين ، فكان الواحد منهم يذهب الى القبيلة المجاهدة وقد قبض العكاز ولبس المسوح فلا يزال يفتل لها فى الحبل والغارب حتى تقبل الرضوخ للحكم الاجنبي ، يذهب اليها بابل موقرة بسبحات الاذكار، فيعود منها بابل موقرة بمكاحل الرصاص، وشيطان الاستعمار من الوراء يمده بالكرامات والمعجزات ، فكم من طيارات حملت الوف الحصا مكتوبا فيها فلان ولي الله والقتها فى اودية القبائل المقاومة فحملها الرعاة الى الخيام والبيوت ، فاعتقدت الدهماء انها شهادة السماء لفلان بالولاية ، وكم من هؤلاء (الاولياء) من نزل ضيفا على قبائل المقاومة ، وكان كلما دخل لقضاء حاجته حلل فى اناء الاستنجاء مساحيق الالبان الصناعية ومعاجينها حتى اذا خرج اعتقد الاوباش ان الماء يستحيل بمسه لبنا حليبا ، فكانت المعركة الثانية التي خاضها محمد الخامس وسدد فيها ضربة ثانية الى مقاتل الاستعمار تتمثل فى الحملة التي شنها على الطرقية المفتنة والدجل باسم الدين فابعاز

منه قام جماعة من الشيوخ المخلصين والشبان النشط بالقاء الوعظ والارشاد فى المساجد حاذين حذو علماء المشرق السلفيين المتاثرين بافكار ابن تيميه وابن القيم فى المتقدمين ، وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا فى المتاخرين ، وفى الوقت نفسه اخذ الكتبيون يستوردون الكتب والجرائد الاصلاحية كالفتح والمنار والشورى ، كما قام الشبان بتمثيل الروايات الاجتماعية التي فيها تعريض بالدجالين ، سيما رواية (طرتيف) لموليير التي منع تمثيلها بقرار عسكري ، وما ان احس جلالته بان الناس تفطنوا الى خطر الرهط على الاسلام والعروبة حتى رماهم بقاصمة الظهر فاصدر امره بمنع عيساوة وحمادشة من مزاولة اعمالهم المزرية.

ثم توبعت المعركة ضد الطرقية والدجل الديني بلا هوادة .

وبانتشار العلم ، وافاقة العقول من غشيتها ، جاء دور الكفاح السياسي ، وقد كانت القوات الحية فى البلاد تجمعت فى كتلة العمل الوطني التي قدمت لجلالته (مطالب الشعب المغربي) ثم اصدرت للافصاح عن وجهة نظرها مجلات وجرائد بتطوان وباريس ، فكانت تجد من جلالته تشجيعا وتعضيدا ، واحس الوطنيون بضرورة الالتفاف حول رمز لا ينازع فيه منازع والائتمام بامام لا يجادل فى امامته مجادل ، فكان الرمز هو العرش العلوي ، وكان الامام هو محمد الخامس ، ومن خلال هذا الشعور تولدت فكرة الاحتفال بذكرى تتويج جلالته الذي جري فى اول الامر (خروجا على القانون) ، ثم اضطر الفرنسيون الى الاعتراف به بقانون ، فكان عيد العرش الذي وجدت فيه الامة متنفسا للاعراب عما لا تستطيع الاعراب عنه فى غيره، واصبح هذا العيد سوق عكاظ آخر يتبارى فيه ادباء المغرب من كتاب وشعراء لاثارة الحمية الوطنية فى النفوس والاشادة بمفاخر المغرب والتنويه بفضل جلالة ملكه ، وعند ما استوثق اعزه الله من ان الشعور عم ، وان الاغراس التي غرسها وتعهدها لم يعد فى امكان العواصف والاعاصير ان تقتلعها اوتحرقها، عندما استوثق من ذلك خرج الى الميدان السياسي جهرة وربط مصيره بمصير امته ، فكان دائما حجر عثرة فى طريق المشاريع الفرنسية المضرة بها ، وكان يستعمل حقه فى العفو على المسجونين السياسيين كلما القى بهم الفرنسيون مئات وآلافا فى المنافى والسجون ، وكان يمد المنكوبين بالاموال ، ويعين العاملين فى الداخل والخارج بشتى العطايا والمنح، وما من حركة الا ولجلالته فيها قدم صدق وعليها يد بيضاء، ولما اعلنت الحرب العالمية راى جلالته فيهابارقةامل، فان الحلفاء ملأوا الدنيا ضجيجا وصراخا زاعمين انهم لا يخوضونها الا لتحرير البشرية من الرق والاضطهاد ، وعندما انكسروا سنة1940 بقي جلالته وفيا لهم، ولم يقلب لهم ظهرالمجن كما يفعل الانتهازيون ، لان الوفاء والحكمة والتبصر من ابرز صفاته ، وتنفس الحلفاء الصعداء بانضمام امريكا اليهم ونزولها الى الميدان ، وبدا الزعماء الذين بقوا فى المغرب خارج السجون يتهامسون ، ويتساءلون عماذا ينبغي ان تكون الخطوة التالية ، وكادوا يجمعون على مشروع اصلاح جديد ، وارسلوا رسولهم الى جلالة الملك يخبره الخبر .

حدثني السيد محمد الغزاوي مدير الامن الوطني قال : ضرب لي جلالته للقاء موعدا ، فذهبت اليه خفية، والتقيت به فى مراب سيارات القصر ، فبدات اقص على جلالته نشاط الجماعة ومداولاتها ، وراى اكثريتها ، وهو جالس امامي على حجرة ، حتى اذا انتهيت من حديثي فاجاني بالقول الفصل : هذا كله عبث ولغو ، لا ينبغي ان نطلب الا الاستقلال الكامل ! وحررت عريضة المطالبة بالاستقلال، وتحزبت الامة حول الفكرة ؛

ومرة اخرى فتح محمد الخامس ميدانا ءاخر يخوض فيه بالامة معركة الاستقلال .

كان على الفرنسيين ان يفعلوا شيئا لمجاراة المغرب على موقفه الشريف من قضية الحلفاء ومساهمته فى احراز النصر على دول المحور فى الحرب العالمية الثانية، فعند ما اخذت المستعمرات القديمة تستقل الواحدة تلو الاخرى ، ادركوا هم ان الاوان قد آن لاجراء اصلاحات بلدية وعدلية واجتماعية ، وادخال تحسين على تاليف المخزن ، ولكن هذا الادراك نفسه لم يكن يخلو من نيات سيئة تجعل فيه الخطر كل الخطر ، ففي كل مرة عرضوا على محمد الخامس مشروعا من مشاريعهم كانوا يقحمون الجالية الفرنسية وكانها عنصر من عناصر السكان الاصليين ، فالمجالس البلدية ينبغي فى نظرهم ان يتالف نصفها من نواب مغاربة ، ونصفها الثاني من نواب فرنسيين ، والهياة النقابية كذلك مع اشتراط الجنسية الفرنسية فى المسيرين . والعدلية اهملت فيها مسطرة الاجراءات اهمالا شنيعا ، ولم يعتن الا بالجانب الذي يسلب جلالة الملك سيادته ، اما المخزن فقد اريد منه ان يصبح مجلسا للوزراء والمديرين ، وطبيعي ان البلادكانت ترفض هذه العروض الجزئية الخطيرة جملة وتفصيلا . ولا تريد بالاستقلال الكامل بديلا ، وكان محمد الخامس مرآة صافية تنعكس عليها ءامال شعبه والامه ، ومع ذلك فقد ابى الا ان يدرس هذه العروض ويستفيد مما قد يكون فيها من نفع للبلاد ، وعند ما نظر فيها وجدهم يريدون اقتسام السيادة على البلاد معه ، فردها على وجوههم وسافر الى طنجة .

انظر البقية على الصفحة 30

محمد الخامس مجدد نظام الملكية بالمغرب

الأستاذ عبد الكريم غلاب

قرأت منذ سنوات بحثا كان تحت عنوان (كيف استطاعت انجلترا ان تحتفظ بالنظام الملكي) حلل فيه الكاتب استجابة الملكية فى انجلترا للتطور الفكري الذي طرا على عقليات الشعوب ، وللتطور الاجتماعي والسياسي الذي دفع الشعب الانجليزي الى المطالبة بحقوقه ، ومحاولة التخلص من نظام الحكم الفردي ، الى النظام الديمقراطي ، حتى انتهى بالنظام الحالي الذي اصبح فيه الملك ـ او الملكة ـ يملك ولا يحكم ، نتيجة لاتفاق تام بين الملك والشعب ، وبذلك استطاع الشعب ، ان يتطور فى نظامه الديمقراطي الذي اصبح من اسلم النظم الديمقراطية فى العصر الحديث ، واستطاعت الملكية ان تحتفظ بمركزها كرمز لوحدة الشعب الانجليزي والشعوب المرتبطة به ، واستطاعت انجلترا ان تتلافى الارتجاج الذي تعرضت له كثير من الامم الاوربية نتيجة لتغيرات اوضاع الحكم ونظمه .

وقرات منذ حين كتابا عن انهيار الملكية فى مصر على يد فاروق ، صور فيه الكاتب كيف ان فاروقا كان يسير فى اتجاه معاكس لكل الرغائب التي كانت تختلج فى صدور الشعب المصري ، سواء من حيث تطور نظام الحكم نحو الديمقراطية الدستورية ، او من حيث الاصلاح الداخلي ، او من حيث السلوك الشخصي النظيف الطاهر ، وقد ادى ذلك كله الى ان اصبح فاروق فى عزلة عن خط السير الذي يريد الشعب المصري ان يسير فيه ، وبما انه كان يملك ويحكم ، ويريد ان يسيطر على كل مقدرات الشعب ، فقد صعب عليه ان يجتاز الهوة التي حدثت بينه وبين شعبه ، وتجرد من كل سلاح يحمي الممالك والملوك ، فهوى سريعا سهلا وهوت معه الملكية فى مصر .

مثالان من امثلة التطور بنظام الملك ، ادى باحدهما الى بقاء الملكية وتعزيزها ، رغم ان ما كان يحيط بها من ممالك قد هوت فيها العروش كما تهوي اوراق الخريف، وادى باحدهما الى انهيار الملكية ، رغم عزتها وسلطانها، ورغم ان ما يحيط بها من ممالك كان من شانه ان يعزز جانبها ويقوي سلطانها .

والمغرب يعيش اليوم فترة التطور والانقلاب فى حياته السياسية والاجتماعية ، وهو يشهد الثورة فى انظمته تقلب اسسها وتغذي جذورها بدافق من حيوية وصيب من اكسير التطور والاندفاع ، والنظام الملكي عميق فى حياته عمق الدين والقومية والوطنية ، لان العرش كان منذ كانت للمغرب حياة سياسية ، وكان من صميم الوطن ـ وحتى الادارسة كانوا مستوطنين ، رغم ان المغرب يتساهل فى معنى الوطنية حينما يتحد الدين والقومية ـ وكان الحفيظ على الدين والوطن والقومية ، وكان المعبر الامين عن ارادة الشعب ، ولكل ذلك امتزج العرش بالشعب واصبح جزءا من حياته ، يجتازان المحنة معا كلما هبت عواصف المحن على المغرب، وينعمان بالعز كلما انتصرا على عوادي الزمن ، واندفعا يخدمان الوطن والدين والقومية ، لا فى حدود الوطن الضيقة فحسب ، ولكن ايضا هناك فى شمال الاندلس ، وفى جنوب الوادي ، وعلى حدود مصر ، وفى كل بقعة استطاعا ان يبسطا عليها ظل السلام .

جاء محمد الخامس والمغرب يتمخض عن ثورته تلك التي المعنا اليها ، فلم يقف بمعزل عن الميدان ، ولم يستكن للارادة المسيطرة اذ ذاك ، التي كانت تريد ان تجعل من العرش متحفا ، كما فعلت بالحكومة ، ولكنه تزعم الحركة بنفسه ، فدعا الى الاصلاح وحض عليه ، واتحدت آماله بآمال الشعب، وتوثقت عرى عمله باعمال الشعب ، فلم يختلفا فى تفكير ولا اتجاه ولا عمل ، حتى جهرا معا بالمطالبة بالاستقلال لتحقيق الاصلاح عن طريقه ، وحتى عملا معا على تقويض دعائم الحماية والوقوف فى وجه كل تشريع يزيد فى المساس بسيادة الامة ، ووقف اخيرا العرش والشعب وقفة صريحة فى وجه الحكم الاجنبي ، فلم يعد امامه الا ان يرتطم بصخرة الوطنية ممثلة فى العرش والشعب ، وكانت الصدمة ، وكان بعدها الانتصار . وعاد الملك الى عرشه، لا ليقتعده وهو يرى بلاده مستقلة فحسب ، ولكن ليقود دفة البناء فى عهد الاستقلال كما قاد دفة الهدم لعهد الحماية

وبدأت المشروعات البنائية تتوالى فى كل اتجاه ، وحقق المغرب فى سنتين اثنتين ما عجزت الحماية عنه فى سنين اربعين ، وما عجزت عنه بلاد اخرى فى عقود من عهد استقلالها ، يفكر فى كل ذلك ويرعاه ويدفع اليه جلالة الملك محمد الخامس .

المهم فى كل هذا ان محمد الخامس جعل من الملكية نظاما قائما بالشعب لخدمة الشعب ، فحينما كان هذا النظام ينهض لمقاومة عهد الاستعمار لم يكن يسير فى معزل عن الشعب ولم يكن يستبد براي دون راي الشعب ، ولم يكن يترك الشعب ليكافح وحده دون مراقبته وتأييده والكفاح معه .

وحينما انتهى الامر بالمغرب الى الاستقلال قام النظام ايضا بالشعب لخدمة الشعب فالمشاريع البنائية يعتمد فى بناء معظمها على الكفاح الشعبي ، والجهود توجه لخدمة المصالح التي تستفيد منها اكبر طبقة من الشعب .

والواقع ان هذا المجهود الذي يبذله محمد الخامس لخدمة شعبه ــ ولو انه يستمد اصوله من تقاليد العرش المغربي ــ الا انه فى تاريخ المغرب الحديث يعتبر تجديدا لمهمة النظام الملكي ، لان الشعب المغربي فى تاريخه الحديث لم يشعر بهذا التضامن بين العرش والشعب كما يشعر به اليوم ، ولم يحس بان آماله فى الحياة الحرة الكريمة الجديدة ، تتبلور فى شخص كما تبلورت فى عهد محمد الخامس .

ويمكننا ان نقول : ان ملكا من ملوك المغرب فى العهد الحديث ، لم يشعر بالعبء كما يشعر به محمد الخامس ، ولم يعبيء جهوده كما عباها محمد الخامس لخدمة الشعب ورعاية مصالحه .

واذن فهو تطور مهم يواكب عهد الثورة التي يعيشها المغرب منذ ثار على الاستعمار ، تطور فى فهم معنى النظام الملكي ، وتطور فى اساليب العمل بل وفى ميدان العمل .

ومن اجل ذلك اكسب محمد الخامس النظام الملكي بالمغرب قوة فوق قوته ، واعطى للدولة مناعة وقتها شر ما كانت الحماية تبيته لها من اخطار .
انه نظام ملكي يعمل بالشعب ولمصلحة الشعب .

تابع للصفحة 28

جهاد جيل

وكانت قنبلة 8 ابريل سنة 1947 وقنابل خطب اعياد العرش بعد ذلك ، وكشفت البلاد عن ساق الجد وشمرت عن ساعد الاجتهاد ، تخوض وراء ملكها معركة السيادة .

وكانت معركة حامية الوطيس ، ادرك الطرفان انها الحاسمة ، فاما انتصار الى الابد واما خذلان الى الابد .

وابدى الملك براعة فى القيادة ومهارة فى الكر والفر ، وتنقل بالخصوم من نجد الى غور ، واخرج العراك من الزاوية المظلمة التي كان يجري فيها من قبل الى ساحة الامم المتحدة والمؤتمرات العالمية حيث اخذ يجري والناس من حول الطرفين شهود ... وحمي مرجل الغضب فى نفوس الفرنسيين وقالوا لمحمد الخامس استسلم فقال لا ... فعادوا الى القتال حتى انهكهم التعب ثم صاحوا به استسلم فقال لا ... وهنا قرروا ان يجلبوا عليه بالخيل والرجل ، ويجلوه عن الميدان .

وسدد علال بن عبد الله طعنات الى الدمية الحقيرة واصلا بها حبل ما ارسل محمد الحنصالي على الانذال من طلقات ، وتململت مراكش ووجدة ، وتحركت البيضاء والقنيطرة وفاس وجاءت جبال مرموشة والريف بخبر النصر الاخير ..

وانجلت المعركة عن الاستعمار ضجيعا فوق الرغام مضرجا بالدماء يلفظ الانفاس التي لا يحيى بعدها ابدا ، وعن محمد الخامس يعود على رأس امته مكللا بالغار ، والشعوب الحرة تصفق له وتهتف .

انه يعود لا ليستجم ويستريح ، وانما يرجع من الجهاد الصغير جهاد الهدم ، الى الجهاد الكبير جهاد البناء .

حقا انها قصة بطولة رائعة ، وقيادة حكيمة ماهرة ، تعنو لها وجوه قادة التاريخ .

والذين عاشوا هذه الفترة وراوا ما حصل فيها من التحول المدهش والانقلاب العجيب ، او كان لهم شرف المساهمة فى تحقيق مشاريع محمد الخامس لا يعتقدون انه نعم بالملك كما ينعم الملوك ، لانهم يعرفون انه ما ذاق طعم الراحة من اجل امته الا قليلا . واكبر ما يرجون ويتمنون ان يطيل الله حياة هذا القائد الكبير النفس ، البعيد النظر ، حتى يحقق النصر لوطنه فى معركة بناء المستقبل الباسم كما حقق لها النصر فى معركة تحطيم الماضي البغيض .



للأستاذ
الرحالي الفاروقي

لقد عني التشريع الاسلامي عناية كبرى بحياة المرأة المسلمة ، واهتم بوضعها اهتماما صادقا ، وحكم في امرها حكما عادلا، فرفع منزلتها واجل مكانتها وقوى في النفوس وفي المجتمع مركزها وعرف بحقوقها ومصالحها ــ واوصى برعايتها واطابة عشرتها ، وحرسها من نقص الجاهلية والجهالة وصرفها عن دين التبرج والسفالة ، وكلفها كما كلف اخاها ، واختصها ببعض الاحكام وفقا لعادتها وجريا على طبعها .

والمرأة كالرجل في واقع الامر صالحة وغير صالحة، **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ، فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا .**

كانت هذه العناية السامية ، والاهتمام الصادق ، والحكم العادل ، بعد ان عرفت المرأة الوانا من الظلم والعسف، وانواعا من الذل والخسف ، فانجدها الاسلام آخذا بيدها ، معرفا بقيمتها ، واضعا لها في موضعها ، وحررها من عادة الاستعباد وحياة الاستبداد ، وخولها نعمة الاستقلال ، وبوأها مقاما شبيها بمقام الرجل ، فهي تجير وتهاجر ، وتجاهد وتؤازر ، وتبايع وتناصر، وتملك وتتصرف ، وتعقد وتستخلف ، اذا استوى امرها وصلح حالها ، وتعلم وتعرض رايها وتتكلم ، ولم يعد في مستطاع الوارث ان يتحكم في مصيرها ، ولا للولي ان يتسلط على رزقها ، ولا للفلاة ان يقضوا على حياتها ، واصبحت تعتمد في نضالها على نظام حميد يعززها الى حد بعيد ، ويجعلها رفيقة الرجل في الحياة، وانيسته في الوحشة ، وشريكته في المحنة ، تعينه على الحوادث ، وتعيذه من السوامت ، وتعفه من الخبائث ، وهو يقوم على راحتها وامنها وحفظ شرفها وصون عرضها واقامة عوجها وسد عوزها ، وليس معنى هذا ان المرأة والرجل لا يوجد بينهما فرق ولا ميز في الاحكام والاعمال، فان طريقة الحياة تسير على مذهب الطبيعة. وهناك اكثر من فرق واحد لاسبيل الى جحده وانكاره ولا قدرة على نسخه وابداله ، والاعمال في هذا العالم المترامي الاطراف والمتنافي الاعراف موزعة بحسب الطبائع والغرائز الثابتة في الانسان ، وباعتبار القدرة والاستطاعة والامكان ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . وقد بات من عدل الشريعة وحكم الطبيعة ، ان تصرف الامور الى اوليائها ، وترتب احسن ترتيب في مراتبها ، حتى لا تشتبك الاحوال وتختلط الاعمال ويطمع العاجز والجاهل ، ويقنط العالم والعاقل . ومن وحي الرسول صلى الله عليه وسلم : **اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة .**

وتغيير الاوضاع الاسلامية خطير على حياة الامم الاسلامية ومخل بآدابها واحكامها ، ومسيء الى مجدها وتاريخها ، والله جلت عظمته عند ما شاء خلق الانسان اوجد آدم اولا وحواء ثانيا ، ومن آدم كانت حواء . فالرجل اول ما وجد من هذا النوع ، واول من كلف بسياسة الخلق ، وابلاغ الحق . فسبق في الايجاد والتعبير ، وتقدم في الحكم والتقدير ، وفي ذلك وموء الى مكان الرجل والمرأة في الحياة ، ووضعهما الطبيعي في الاجتماع البشري ، والى العدالة القائمة بينهما في غير نقصان ولا طغيان، ولا غنى عنهما لبقاء التناسل الجنسي والمحافظة على المصالح التابعة لهما ، غير ان هذه المرأة الضعيفة اللطيفة ، لا تقوم مقام الرجل في سائر جوانب الحياة ، ولا تسد مسده في سننها وفرائضها ، اتباعا لفطرتها واتفاقا مع سيرتها ، وليس ذلك نقصا في جهتها ولا مسا بكرامتها ، وقد سمي صلوات الله عليه وسلامه النساء بالقوارير في قوله : **ويحك يا انجشة رويدك بالقوارير .** لسرعة تاثرهن وكثرة انفعالهن وبيان ضعفهن . والمرأة وان كانت تتجشم المصاعب ، وتقتحم الشدائد ، وتحاول الابداع وتشارك في الامن والدفاع ، وتشد ازر صاحبها ، وتخفف المه ، وتدبر بيته ،

وتحضن ولده ، وتمده بشيء من القوة والنشاط، وتثير فيه كثيرا من الاحساس والحماس ، فيندفع الى الذب عن الحريم ، والذود عن الوطن ، والفكر في المجتمع فان الرجل انيطت به مهام الحياة ووظائفها المختلفة من دون استثناء ولا تخصيص . فتكاليفه اغزر واكبر ، ومسؤوليته اشق واوعر ، وذمته ملزمة باعباء الدفاع والادارة ، مكلفة بترتيب الاشغال ، واقامة العمارة ، والقيام بانواع المكاسب باسرها ، وتاسيس قواعد المدنية الصالحة وبنائها ، وهو بحال جبلته ، اقوى واعقل ، واشد واكمل ، والنساء منه اقل ، وفي مكاره الحياة الين واضعف ، **وكل ميسر لما خلق له** ، ومن اراد مقاومة الطبيعة ، ومخالفة العادة التي هي اخت الطبيعة، فقد اتى شيئا نكرا ، وكانت عاقبة امره خسرا ، وهكذا تعاليم الكتاب الحكيم ، وتفاصيل سنة النبي الكريم ، ومن صريحها بعد الاشارة الى قاعدة المساواة : **وللرجل عليهن درجة ـ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم** . وكانت الدرجة للرجال تحقيقا للمسؤولية الملقاة على عاتقهم ، اذ هم رعاة **وكل راع مسؤول عن رعيته والمراة راعية بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها** .

وجاء في قسمة الاموال **للذكر مثل حظ الانثيين،** وفي حصة الشهادة، **الرجل كالمراتين،** ففرض لها الاسلام نصيبا كالرجال بعد ان كانت محرومة من المشاركة في المال ، **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا** ، وجاء حظها دون حظ الرجل لان تكاليفها دون تكاليفه ، ولانه معرض بحكمه الطبيعي ووضعه الاجتماعي في كثير من الاوقات لكثير من النكبات التي تزعجه ، وتعوقه عن العمل والخدمة والتكثير والتنمية ، فماله خارج في حضرته وفي غيبته ، يرزق منه اهله وعياله ، وتؤخذ منه الجبايات والاعانات والكفارات والزكوات والديات وغير ذلك مما تفرضه فنون الحياة وشؤون البيئة التي يعيش في اجوائها ويتحرك في ظلالها ، والمراة آمنة مطمئنة في غالب حياتها، مترددة بين وليها وزوجها ، لاتسأل عن نفقة ابنها ، ولا تغرم عن غيرها .

وبعد فالنظر الاسد في الاعتبار وفي الواقع ، هو ان المراة لاتعالج الملك ولا تلي السياسة ، للحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة** . وراي جمهور علماء الشريعة ان العبرة في اقوال الكتاب والسنة بعموم لفظها لا بخصوص سببهما ، والحديث تام وعام في الموضوع ، فلا تلي امامة ولا رئاسة في الحكم ولا نيابة في المجلس ولا سفارة في الخارج . وعلى الاجمال فلا تنبغي المخاطرة بالمصالح العليا والقذف بها في مواطن الفتنة ومظان الشك والريبة وما يبدو في تاريخ الامم من ظهور المراة في ميادين الحكم والسياسة ،فلا يدل على صواب هذا المذهب وسداده ، وربما انتج التامل في تاريخ حياتها ، والتعمق في ظروف ولايتها ونتائج تدبيرها ، ضعفها عن ممارسة السياسة ومعاناة الحكم ، ولقد اعطت اوربا للمراة اكثر مما يمكن من الحرية واباحت لها ان تستمتع ما شاءت
مما يمكن من الحرية واباحت لها ان تستمتع ما شاءت
باسباب الحياة ، فلم تذهب بعيدا في طريق السعادة ، ولم تات بنجاح في باب السياسة ، بل كثير من الممالك كان يسيرها الغرام ، ويديرها العطف والهيام . ولم يعهد لامراة في عهد النبوة ولا في عهد الخلافة باي منصب من مناصب الدولة ، وعائشة رضي الله عنها التي ثبت فضلها وكمل عقلها وكانت مثلا اعلى في العلم والفضل والدين والعقل ، سجل التاريخ ما ترتب على دخولها في السياسة ، وخروجها الى العراق ، ووعظنا انها رضي الله عنها ندمت على ما فعلت ،**وكانت اذا قرات قوله سبحانه : وقرن في بيوتكن ، بكت حتى تبل خمارها وقالت لعبد الله ابن عمر : يا ابا عبد الرحمان مالك لم تمنعني من الخروج قال رايت رجلا قد غلب عليك يريد ابن الزبير** ، ومن هذا يعلم ان المراة تضعف في المواقف، وتقلب في المحاورات ، وتسير بجانب المشاكل ، وتعجز عن مواصلة الاعمال ، وان علا شانها وطال باعها ، كما قضى بذلك طبعها .

وصدق قول الله العظيم :**اومن ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين** ، ومحمد صلوات الله عليه وسلامه عليه فرق بين الناس . وقال عبد الله بن عمر: نهي النبي صلى الله عليه وسلم ان يمشي الرجل بين امراتين ، ومثله القعود بينهما .

ان المراة كانت وما زالت زينة من زينة الحياة الدنيا ، وعمدة في التربية والحضانة ، وقوامة على البيت والحجرة ، ولا ننسى انها تهيىء المجتمع الصالح ، وتعد الرجال للمستقبل ، وانها المدرسة الاولى للشعب ، فجدير ان يعتني بتثقيفها واصلاح جوانبها ، لتصبح مدرسة صالحة وسامية ، لها حكمها المعروف ، ومقامها المالوف ، فكفاها ان تنصرف اليه وتجيد العمل فيه ، وتفيد الشعب من بابه ، وان في كفالة الابناء وتربية النشء وادارة البيت مع ما يتطلب ذلك من الالمام بشيء من علم التربية وفن الطبخ وتدبير المنزل ومعرفة قواعد الطب الاساسية لتكليفها بميادين فسيحة ، قلما تلم بها امراة من نسائنا ، كما لها مسابح اخرى يمكنها ان تظهر فيها ، مثل العمل في المياتم الاسلامية ،

انظر البقية على الصفحة 40

الإسلام وحقوق الإنسان

للأستاذ رشيد الدرقاوي 3



كثيرا ما يستعمل لفظ المساواة وخاصة لدى رؤساء الشعوب وزعماء الاحزاب والهيئات وهو لفظ براق اخاذ مثل الديمقراطية . يستهوي الالباب ويتلاعب بالعقول وقد يرمي مستعمله الى تضليل الحقيقة فى اغلب الاوقات وعند اكثر الهيئات وبذلك يقع كثير من المنصتين اليه فى شركه الذي نصبه لهم سيما ان كان من اولائك الذين وهبوا فصاحة فى اللسان وسحرا فى البيان . ولم يعرف للمساواة مدلول قبل الاسلام حيث كان نظام الطبقات سائدا ، وذلك عندما كان الناس ينقسمون الى الاقسام الآتية :

1) رجال الدين 2) رجال الحكم 3) عامة الناس

فكان القسم الاول وهم رجال الدين يتبوأ مقاما ارفع ومكانا اعلى . يتلوه فى المنزلة رجال الحكم وكلا القسمين يعمل على تسخير قسم العامة لصالحه وابتزاز ثروته . الاول باسم الدين وطاعة منزله . والثاني باسم السلطة الدنيوية فكانت الحياة مقسمة بين الناس ذلك التقسيم الجائر والغير العادل الامر الذي لا يجعلها طبيعية معه حتى جاء الاسلام وقرر مبادىء وحقوقا كان من اروعها المساواة . جعل الناس كلهم سواء ، ابوهم آدم وامهم حواء لا فضل لابيض على اسود ولا لعربي على عجمي الا بالتقوى والعمل الصالح . (يقول الله تعالى : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم .) فهذا المبدأ يجعل الناس سواء فى الانتساب الى الجامعة الانسانية ، ويخولهم حق التمتع بهذا الحق المشاع جميعا من غير ان تختص به طبقة دون اخرى ، ولا ان يمتاز به فريق عن فريق ، كما كان الشأن قبل الاسلام ، وذلك ما يدل على فساد نظام الطبقات وعدم صلاحيته مما جعل الاسلام يتنكر له . ومن صوره الدالة على فساده ان مقاييس الاقتصاص من المجرم ، كان ينظر اليها من الناحية الاجتماعية ارتفاعا وانخفاضا ، فاذا كان من صدرت منه الجريمة الموجبة للقصاص احد اولائك المحظوظين الذين تتكون منهم الطبقتان الاوليان لم يجرؤ احد على القول بالقصاص حيث ان هؤلاء لم تجر عليهم القوانين ولم تنلهم العقوبات . اما اولائك الذين خانهم الحظ ونزل بهم القدر الى الطبقة الثالثة فالويل لهم ان اجرموا او فعلوا ما يستوجب عقابا ، على ان اغرب ما فى الامر هو ان القصاص يتلون بتلون الحكام وان تشابهت دواعي الجريمة واسبابها . كما ان الضرائب والاتاوات تنتزع قسرا وقهرا من هذه الطبقة السيئة الحظ وتعفى منها طبقة الوجهاء والنبلاء والسادة الذين يرتعون فى بحبوحة الترف والبذخ على حساب البؤساء الذين تنكر لهم وجه الزمان ، ولم يرفرف على سمائهم جاه ولا سلطان. واما المناصب والمكافئات فهي وقف على ذوي الجاه ، والذين يتملقونهم ، محظور عليها ان تنزل الى من دونهم فضلا عن ان تشملهم ولو بقليل من عطفها ، فهذه الامثلة تصور نظام الطبقات وعيوبه . وطبعي ان نظاما مبنيا على الميز والاستغلال كهذا ، لابد ان يكون له اسوأ الاثر فى نفوس اولائك المضطهدين ــ والمستغلين استغلالا عاريا عن الرحمة ، وان يحدث فى تلك النفوس تذمرا وسخطا عميقين يحفزانها الى الوثوب على المستبدين المرهقين ويثيران فيها دوافع الانتقام الكامنة ، وذلك ما يمكنهم عند ما تسنح لهم الفرص من اشباع نهمهم من لحوم اولئك الذين ارهقوهم . وارواء ظمئهم من دماء من اضطهدوهم على ان هذا الجو الثقيل قد يسبب حتما انتشار الفوضى ويخلق الفتن والقلاقل مما تصير معه الحياة لا تحتمل .

ففي هذا الجو المكفهر المظلم شق نور الاسلام هذا الستار الكثيف من الظلام واضاء العالم وهو يدعو الى المبادىء التي شرعها لخير الانسانية والتي من بينها المساواة فى الحقوق وفى التكاليف ، ولم يكن الاسلام ليترك هذا الحق كغيره من الحقوق والمبادىء التي قررها وشرعها ، دون حماية ورعاية ، كيلا يعبث بها ويتخطى حدودها . وبهذا المبدأ النبيل السامي استطاع الاسلام ان يمحو الفوارق البغيضة ويزيل التفاوت الضار المقيت بين طبقات الانسان بحيث لم يبق هناك

اشراف ولاعامة ولاسادة ولاعبيد باستثناء ماتفرضه طبيعة العمران ، وحتى اذا قرر هذا فسيصبح ميزان الشرف ومقاييس التمايز هي القيم الروحية والفضائل الحقة ، والاعمال التي تقدم لصالح البشرية دون التفات الى فوارق الجاه والجنس والحسب والمال .

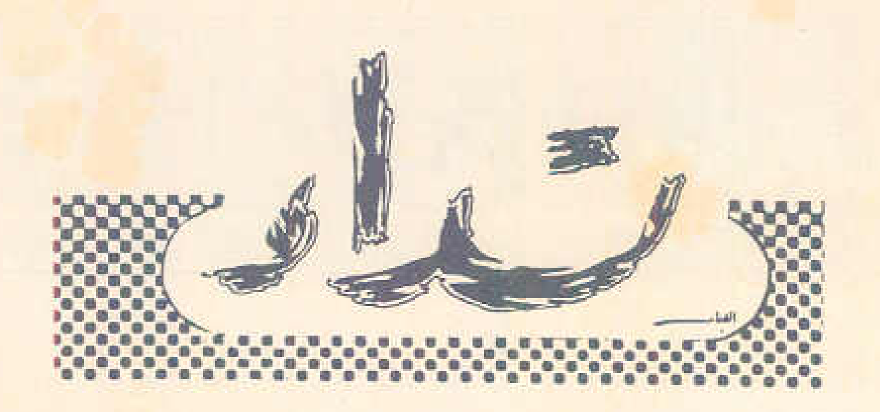
من ادلة المساواة فى الاسلام

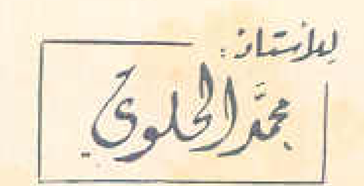
سبق ان قلنا ان مدلول لفظ المساواة لم يعرف الا عندما عرف الاسلام وهو احد المبادىء الاولى التي اعلنها الاسلام وتلك دعوى زائفة ان لم تستند بما يدعمها . وياما اكثرها وذلك ما يجعلها تكتسي حلة الصحة الواقعية ، ولنثبت هنا بعض الادلة المؤيدة لذلك . منها قول الله تعالى الذي سبق ذكره وهو (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) الآية وقوله (انما المومنون اخوة) وقوله : يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) . فمما لا ريب فيه ان الاخوة تقتضي المساواة لانه ليس هناك ما يدعو لتفضيل اخ على اخيه لكونهما متماثلين ينطبق على كل منهما ما ينطبق على الآخر . ومنها اقوال رسول الله عليه السلام وكذلك افعاله عندما تعرض على النظر توجد غنية بما يدل دلالة واضحة على ان الرسول كان احرص الناس على المساواة . واكثرهم رعاية لها ، فمن بين اقواله : (المسلمون تتكافا دماؤهم، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى كلكم لادم وآدم من تراب. الناس سواسية كاسنان المشط) ، ومنها قوله لحبه اسامة بن زيد حينما جاء يشفع لديه فى امراة وجب عليها حد السرقة : (اتشفع فى حد من حدود الله ؟ ان بني اسرائيل كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والله لو كانت « يعني السارقة » فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) ، ثم يقول : (ايها الناس من اخذت له مالا فهذا مالي فلياخذ منه ومن ضربته ضربة فليقتص مني قبل يوم القيامة) ثم اننا اذا انتقلنا من الاقوال الى افعاله عليه السلام نجد التاريخ لم يحفظ عنه انه كان يفرق بين صحبه وغيرهم الا بما لهم من اداء الواجب ورسوخ القدم فى التقوى . على اننا نتحدى التاريخ اذا هو اثبت لنا ان الرسول كان يفرق بين نفسه وغيره فى مبدا ارتضاه لعموم الناس وهو بطبيعة الحال فى مقدمتهم يخضع لما يرتضيه لهم ويعمل قبل غيره بما يامرهم به. واليكم مثلا على ذلك . يروى رجال السير والاثر (ان رسول الله كان فى سفر مع جماعة من المسلمين فلما حان موعد الطعام عزموا على اعداد شاة ياكلونها فقال احدهم علي ذبحها ، وقال آخر علي سلخها ، وقال الثالث : على طبخها ، فقال الرسول الكريم : وعلي جمع الحطب ، فقالوا يارسول الله نعفيك من العمل ، فقال :علمت انكم تكفونني ولكني اكره ان اتميز عليكم ، وان الله سبحانه يكره من عبده ان يراه مميزا بين اصحابه) وان التفاتة الى هذه القصة ونظائرها التي تتمثل فيها ديمقراطية الرسول ومسارعته الى تنفيذ ما سنه للناس تجعلنا على علم كيف استطاع الرسول ان يقضي على الفوارق والميزات ويبيد عصبية الجاهلية التي كانت تقوم على الاحساب والانساب ثم يشيد على انقاض ذلك مجتمعا اسس على العدل والمساواة والدعوة الى الخير والتفاني فى الصالح العام . وفى نفس هذا الطريق الذي خطه الرسول سار الافاضل من الصحابة رضوان الله عليهم، واماجد الامة ، فهذا ابو بكر الصديق يقف خطيبا فى المسلمين ، خطبته الاولى عندما ولى الخلافة ، جاء فيها قوله : الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، وهذا زميله ورفيقه عمر بن الخطاب يوصي سعد بن ابي وقاص عندما بعثه لفتح العراق: يا سعد سعد بني وهيب لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله : فان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، ان الله ليس بينه وبين احد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده . وقد كان عمر يحاسب نفسه على العدل ويأخذها بالمساواة ، وحتى اذا علم ان المساواة هي حق مشاع بين الناس ولا يحدمنه ويتخلف الا عند ما يوجد مانع .

فقد تعترض المساواة موانع تقتضي الغاء حكمها اذا تحققت وذلك لظهور مصلحة راجحة فى الالغاء او لظهور مفسدة فى المساواة، وسواء فى تلك العوارض المانعة فى المساواة فى بعض الاحكام الشرعية والاجتماعية والسياسية والجبلية وكلها قد تدوم أو تنتهي بزمن وكلها قد تطول وقد تقصر . وهذا البحث الموجز لا يتسع لاكثر من هذه الالمامة الخاطفة .

هذا وان مبدأ المساواة الذي تجلى فى اكمل صورة واجمل مظهر على ضوء تلك الادلة النيرة هو من اعظم مفاخر الاسلام الخالدة التي نادى بها قبل ان تستيقظ الامم الحديثة التي تزعم لنفسها انها اول من اعلى – حقوق الانسان – وهي الحرية والاخاء والمساواة . على أن مما يبوىء الاسلام القمة ويزيد فى عظمته هو جعله الحرية والمساواة مبدا عاما وشاملا للمسلم وغير المسلم من اولائك المواطنين الذين يجتمعون فى صعيد واحد تحت سماء وطن واحد . ولعل هذا هو ما يقصد اليه رسول الاسلام حين يقول : (لهم مالنا وعليهم ما علينا .)

انظر البقية على الصفحة 64





يا اخي نحن فى الحياة على رغم هوانا وانفنا اخوان
فعلى ما نعيش فى هذه الدنيا ذئابا فى صورة الانسان ؟
نحن ابناء والد جرع اللذة سما من ناضرات الجنان
اغضب الله لاهيا فتهاوى عن خلود الى وجود فان
ولماذا نهيج شوقا الى الحرب نعاني من نارها ما نعاني ؟
ظامئات نفوسنا للدم المسفوح تختال منه احمر قاني
نتساقى كاس الصداقة والحب بايد مضرجات البنان
نتفانى على الحطام وما يبقى حطام ولا يزول التفاني



يا اخي نحن فى الحياة على رغم هوانا وانفنا اخوان
فعلى ما نعيش فى هذه الدنيا ذئابا فى صورة الانسان ؟
قد بدا الحق فى الوجود غريب الوجه واهي اليدين عي اللسان
يتعالى صداه فى الافق مخنوقا ويبدو كالطيف للوسنان
اكذا اختار ان يعيش بنو الدنيا وقودا يضيء ركب الزمان
يتفانون كي يعيشوا فيفنون ضحايا مطامع واماني
يا غليظ الطباع يا سافل الاطماع يا عار هذه الاكوان
الهذا اخي اتيت الى الدنيا اهذي رسالة الانسان ؟

يا اخي نحن فى الحياة على رغم هوانا وانفنا اخوان
نحن فى زورق تقاذفه الموج عديم الشراع والربان
فى ظلام كالموج ادعو فما تسمع صوتي واشتهي ان تراني
ضاع منا المجذاف وامتلا الزورق ماء ولج فى الخفقان
فتعاون معي لنجذف بالايدي فنرسي على جناح الامان
لا تكلني ونحن فى عالم الاهوال غرقى نخوض فى اشجان
لم نحيا على اختلاف ونسعى فى افتراق كاننا ضدان ؟
لم نذكي اجيج نار فنصلاها كانا من عابدي النيران ؟
لم نبني ونحن نهدم جنات من الفن رائعات البيان ؟
لم نبكي وفى الطبيعة سحر وجمال وصفوة واغاني ؟
فارفع الناي يا اخي واشد لحنا عبقريا يهز من اركاني
غن لحن الصفاء والحب والسلم وزف البشرى بكل مكان
ثم ضع فى يدي يديك فانا هاهنا رغم انفنا اخوان

الضمان الاجتماعي في الاسلام

للاستاذ عبد الكريم التواتي

3

يحس المتتبع لتشريعات الاسلام كوحدة متماسكة ولقوانينه وتصرفاته كمجموعة متكاملة متداخلة، يحس في اعماقه بان محور تلك التشريعات وهدف هذه القوانين لا يخرج البتة من محيط نفع المجموع البشري ولا يتعدى ابدا نطاق صالحه العام، والاسلام – كشأنه دائما – حريص على ان توجه الاعمال كلها الى تحقيق هذه الغايات السامية، وان توطن النفوس على الايمان بجدوى اتباع الخير اينما كان واتيانه بجميع الوسائل التي تتوفر لديها، والاسلام بعد هذا لا يتساهل مع الذين يتلاعبون بالمثل الانسانية او يتهاونون في الذب عنها والعمل من اجلها، ويمتاز الاسلام – مع ذلك – في هذا الميدان بشموليته لكل الافراد الذين يتكون منهم المجموع الانساني، فاي عمل صالح لا يعم جميع الافراد ولا يمس جميع مناحي حياتهم ولا يشمل كل احوالهم لا يمكن ان ينال رضا الاسلام ولا ان يكون له وجود تحت رايته، لهذا فحين قرر الاسلام دور المال في حياة الافراد والجماعات، واكد ان مال الله لم يرسل هذه الكلية ارسالا لا تقييد فيه ولا تخصيص حتى يعطي بذلك القائمين على شؤون الناس مطلق التصرف في تكييف وتوجيه حيواتهم دون مراقبة صارمة من هذه الطبقات التي وضع مصيرها بين ايدي هؤلاء القائمين، لا، وانما ابان في وضوح وجلاء حدود كل فريق، ولذلك ففي الوقت الذي قرر فيه قيمة المال كوسيلة لاغاية قرر مورد هذا المال وبين وجوه استهلاكه ... وقد راينا في المقال السالف دور المال في المجتمع المثالي الذي يقره الاسلام وينشده المصلحون، ونحاول اليوم في مقالنا هذا ان نومىء في اقتضاب الى موارد هذا المال والى مستحقيه، حتى نتمم بذلك تقريبية النظام المالي في الدولة الاسلامية، لان وجود ضمان اجتماعي صحيح يتوقف الى حد كبير على وجود نظام مالي قار سليم.

ويلاحظ المتقصي للنظام المالي والاقتصادي في الاسلام، ان موارد المال في هذا النظام تكاد تكون منحصرة في هذه الامور الخمسة مع تداخل بعضها في بعض وهي: الزكاة، الفيء، خمس الغنائم، الجزية، واخيرا تبرعات اصحاب المال، ويلاحظ ان المصارف تنحصر في مجموعها في هذين النوعين: المصالح الفردية، والمصالح العامة للاسلام.

ويعتبر المورد الاول الاصل في النظام المالي للدولة الاسلامية، فبالاضافة الى تاكيدات الآيات الصريحة التي لا تقبل التاويل باعتبار الزكاة علامة الايمان والرضا بالاسلام، كما يؤخذ من آيتي التوبة (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين، ونفصل الآيات لقوم يعلمون) فان اعمال النبي عليه السلام واقواله – واعمال الصحابة من بعده تؤيد هذا الاعتبار، اعني اعتبار الزكاة اصل الانظمة الاقتصادية في الاسلام، وتؤيده بطريقة لا تترك لدولة اسلامية ان تتخلى عنه او تتهاون في امره، ففي الحديث من اعطاها مؤتجرا فله اجرها – اي الزكاة – ومن منعها فانا آخذوها وشطر ابله عزمة من عزمات ربنا) ويبدو ان قتال ابي بكر للمرتدين حين امتنعوا عن اداء الزكاة لم يكن تشبثا لمبدا الاسلام ولا توطيدا لاركانه وعقائده في اذهان الناس، وانما كان في الحقيقة والواقع قتالا لتحقيق اهم شريطة من شرائط الاسلام، وهي الزكاة في صورتها التنفيذية العملية لا العقدية، لان ابا بكر ادرك بثاقب نظره ان دولة متضعضعة في الاقتصاد مزعزعة في نظامها المالي، لا تقوم لها وبالتالي لعقائدها قائمة، ومن هذه الوجهة فحسب قاتلهم وطاردهم مؤكدا في عزيمة المؤمن بما يفعل – والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه – ومن هذه الوجهة كذلك استطاع ابو بكر ان يلجم المعارضة التي هبت في وجهه، بدعوى عدم صحة وجواز قتال من يقول: لا اله الا الله، محمد رسول الله.

وحين نقول الزكاة نقصد الزكاة بجميع انواعها وفي جميع فروعها، اعني زكاة الغلات الارضية والماشية وزكاة النقد والعروض ايضا، لان النص القرآني الوارد في شان وجوب الزكاة ورد مطلقا لا تخصيص فيه ولا استثناء، ولان النبي عليه السلام قبض زكاة النقد والعروض كما يثبت ذلك حديث علي عنه ص قال: قد

عفوت لكم عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة الحديث – والرقة الفضة والدراهم المضروبة منها –

ويراد بالفيء ما يسره الله لرسوله من اموال الاعداء دون حرب او قتال ، وآية الحشر تشير اليه (وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ، ما افاء الله على رسوله من اهل القرى . . . الاية) ويراد بالخمس من الغنائم الحربية ما اشارت اليه آية الانفال (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول . . . الاية) .

ويقصد بالجزية ما توحي به آية التوبة (قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

واما التبرعات فيمكن الاستدلال عليها من مفهوم آية السورة السالفة (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية) ولما ورد من ان مجاعة حلت بالمسلمين في عهد الرسول فنادى منادي : ان تقدموا معشر الموسرين وليجد كل منكم بفضل من ماله لاخوانه الفقراء ، وتقول الرواية ان الموسرين تباروا بالدفع وقدموا الاموال حتى انتهت الازمة ، ومن قول عمر بن الخطاب (لو استقبلت من امري ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء وقسمتها على الفقراء) .

تلك هي الموارد الخمسة للمال في الاسلام . واما المصارف فهي لاتخرج كما قلنا عن نطاق هذين الاعتبارين المصالح الفردية ، ومصالح الاسلام العامة ، والقرآن فيما يخص الزكاة ينص على ان مصارفها ثمانية انواع ، وجمعها في هذه الاية (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) وفيما يخص خمس الغنائم ، نص على ان المصارف خمسة انواع وهي قوله (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ومن الطريف ان نذكر هنا ان مفسري الشيعة يوجبون هذا الخمس في جميع ما يكسبه المسلم في سلم او حرب او تجارة، فكانهم بذلك يقرون ما تقرره الانظمة الضرائبية الحديثة مما يسمى بضريبة الارباح والدخل، ويدخل ضمن خمس الغنائم التعويضات الحربية التي يفرضها الغالبون على المغلوبين . . وفيما يخص مصارف الفيء ينص القرآن على انها نفس مصارف خمس الغنائم حيث تصرح آية الفيء (فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ومما لا شك فيه ان كل هذه الانواع يمكن حصرها في الاعتبارين اللذين ذكرناهما سابقا . . وعدم تنصيص القرآن على مصارف الجزية او مقدارها، وعدم ثبوت شيء من هذا القبيل في كتب السنة ، هو اولا من حيث أن آيتها لم تنزل لتشريع الجزية كما الحال في الزكاة والفيء والغنائم ، وثانيا للايذان بان مقدارها من خصوصيات الدولة ، وان مصارفها لا تخرج عن مصاريف الزكاة .

ومن المؤكد – والآيات الواردة في شأن مستحقي هذه الاموال تقنع الانسان بذلك – شمولية التشريعات الاسلامية في هذه المصاريف ، او بالتعبير العصري في ميدان الضمان الاجتماعي ؛ فالقرآن لم يخص بهذه الاموال المسلمين فحسب ، ولكن اطلاق آية يؤكد في جزم ووضوح ان هذا النظام في المحيط الاسلامي يشمل ايضا وبالاصالة جميع رعايا الاسلام ، حتى ولو لم يكونوا يدينون بمبادئه ، او يؤمنون بعقائده ، وهذه الشمولية لا من حيث العطاء فحسب ، ولكن من حيث الاعفاء من الواجبات ايضا ، متى ثبت عجزهم وعدم قدرتهم على الاداء . مر عمر بن الخطاب بطريق الشام عائدا من بيت المقدس الى المدينة على قوم قد اقيموا في الشمس فقال : ما بال هؤلاء ؟ فقالوا : عليهم الجزية ، لم يؤدوها ، فقال عمر : فما يقولون هم ؟ وما يتعذرون في الجزية ، قالوا : يقولون انا لا نجد ، قال : فدعوهم لا تكلفوهم ما لا يطيقون فاني سمعت رسول الله يقول : لا تعذبوا الناس فان الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة . وامر فخلي سبيلهم ، وبهذه المناسبة نقرر ان الجزية ليست اتاوة مفروضة على المخالفين للاسلام لعدم رضوخهم لاحكامه ، وانما هي في الحقيقة والواقع للدفاع عن حقوق وحرية من تؤخذ منهم ؛ ففي كتاب الخراج لابي يوسف .. اضطر المسلمون للانسحاب مرة من احدى المدن ، فكتب ابو عبيدة الى كل وال خلفه في المدن التي صالح اهلها يأمرهم ان يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج ، وكتب اليهم ان يقولوا : انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم، وانا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم .. قال اهل الذمة . . . او رعايا الاسلام بالتعبير الحديث – وقد ردت اليهم الاموال التي اخذت منهم – ردكم الله علينا ، ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ، واخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئا . . .

انظر البقية على الصفحة 66

النزعة الدرائعية في العقيدة الاسلامية

لأستاذ
الحسن السايح

من المألوف من الفلسفة الاسلامية ان يتحدث العلماء عن الاتصال الوثيق بين الاسلام والفطرة (الانسانية الاولى) ومدى بساطة دين الاسلام الذي استمد طاقته من الفطرة والبساطة .. ولم يعدم العلماء نصوصا سواء من القرآن الكريم او من الحديث الشريف او من سلوك المسلمين الاولين ، يدعمون بها نظرياتهم من عهد الفارابي الى ابن باجة ، واخيرا الى ابن الطفيل الذي كان نهاية المطاف لهذه الفكرة في الفلسفة الاسلامية القديمة .

والواقع ان الاسلام دين ساير الفطرة والعقل ، واستطاع ان يؤلف بينهما تاليفا لا تنافر فيه ، ولم يكن هذا التاليف وليد طفرة او مصادفة بقدر ما كان تمازجا يرتكز على اسس فلسفية منتظمة .. ولعل هذا يرجع لطبيعة الاسلام وظروف ظهوره ، فقد بزغ في جزيرة العرب في وقت كانت فيه ماوى لشعب ذكي العقل واعي الشعور ، وفي عصر تطور فيه العقل البشري تطورا عمليا ، خرج به عن التفكير البدائي المستوحى من الغريزة والغيبيات الى طور التعقل والفكر .. وكان الدليل على هذا تفوق الفلسفة الاغريقية ، وتوفيقها لحل عدة مشاكل انسانية من زاوية اعمال الفكر واجهاد النظر، بدل الاستسلام الى الثقة الفطرية ٥

ولقد خاض العقل البشري من لدن اليونان الى عهد المدرسة الاسكندرية ، محاولات شتى قصد البحث عن الحقيقة وتنظيم الجماعة البشرية ، فنجح قليلا واخفق كثيرا، ولكن الاسلام عالجها فلم يخفق في حلها بقدر ما توفق ، ولا ادل على ذلك من استمراره قويا الى عصرنا هذا يجابه بطرائق تفكيره مشاكل وقتية ، فلا تشعر بأدنى تنافر وعدم انسجام بقدر ما تزداد ثقة في تربيته العقلية .

ويخطىء كثير من علماء الاجتماع حين يرون الاسلام كمرحلة من مراحل التطور الفكري او التطور الديني ، لانه كان في الواقع ثورة عنيفة ممتدة الذبذبة الى يومنا هذا ؛ يقف ضد كل نكسة فكرية ، ويؤيد كل نزعة تطورية ، ما دامت تهدف الى بناء المجتمع بناء تتحد فيه مطالب الروح ومطالب المادة ، وتنسجم فيه حرية الجماعة واستقلال الفرد .

لقد سبقت الاسلام ديانات ونظريات علمية وفلسفية ، ولكنها لم تزد على كونها مثالية الوضع والاطار ، تعيش في برج من عاج او اديرة جاثمة على رؤوس القمم لا تفهم حقيقة الحياة واهدافها، ولا تعيرها اهتماما جديا او اصلاحا عمليا ، وهي لو فعلت لم تزد



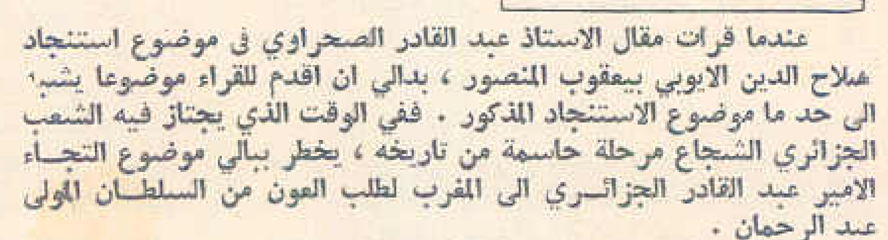
على ابتكار تهديدات تنزع بها الى مكامن الخوف في العقل الباطن ، بدلا من الاعتماد على الجدال والتجربة والاقناع .

وظهر الاسلام جليا في شخصية الرسول المكافح فكان عقيدة وعملا ، ايمانا وسلوكا ، يجابه الحياة الواقعية ويخوض لججها ، فكان الدين الاسلامي بذلك دينا اجتماعيا عمليا، لا يتنكر للحياة بقدر ما يجابه مشاكلها ، لذلك فهو صورة تامة الاطار والوضع للمجتمع البشري ، ويعتبر في نفس الوقت نقطة تعادل بين الامزجة البشرية المختلفة المنطق والايمان والحدس والبصيرة، وكان هذا عاملا قويا استطاع به ان يثبت وجوده وتناسقه مع مختلف البيئات والشخصيات والعصور ... والحياة الواقعية كانت مجال الاسلام بل لم يعش الاسلام الا فيها ؛ ولم يستمد قوته الا منها ؛ وهذه التجربة هي التي زودته بهذه الطاقة التي يعتبر بها، ويجابه بها المشاكل البيئية والوقتية .

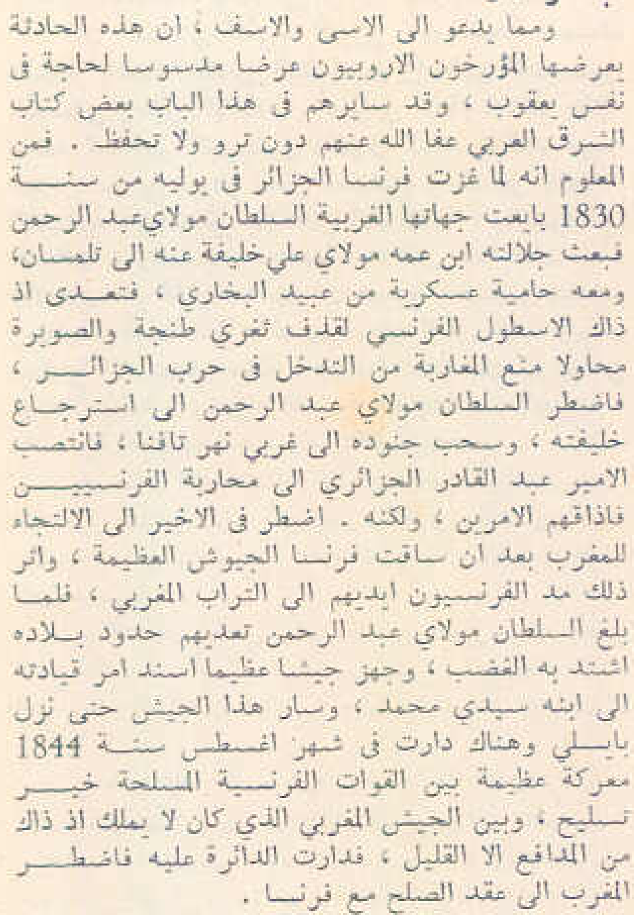
السلطان مولاي عبد الرحمان والامير عبد القادر الجزائري

للأستاذ
عبد القادر القادري





عندما قرات مقال الاستاذ عبد القادر الصحراوي فى موضوع استنجاد صلاح الدين الايوبي بيعقوب المنصور ، بدالي ان اقدم للقراء موضوعا يشبه الى حد ما موضوع الاستنجاد المذكور . ففي الوقت الذي يجتاز فيه الشعب الجزائري الشجاع مرحلة حاسمة من تاريخه ، يخطر ببالي موضوع التجاء الامير عبد القادر الجزائري الى المغرب لطلب العون من السلطان المولى عبد الرحمان .



ومما يدعو الى الاسى والاسف ، ان هذه الحادثة يعرضها المؤرخون الاوربيون عرضا مدسوسا لحاجة فى نفس يعقوب ، وقد سايرهم فى هذا الباب بعض كتاب الشرق العربي عفا الله عنهم دون ترو ولا تحفظ . فمن المعلوم انه لما غزت فرنسا الجزائر فى يوليه من سنة 1830 بايعت جهاتها الغربية السلطان مولاي عبد الرحمن فبعث جلالته ابن عمه مولاي علي خليفة عنه الى تلمسان، ومعه حامية عسكرية من عبيد البخاري ، فتعدى اذ ذاك الاسطول الفرنسي لقذف ثغري طنجة والصويرة محاولا منع المغاربة من التدخل فى حرب الجزائر ، فاضطر السلطان مولاي عبد الرحمن الى استرجاع خليفته ، وسحب جنوده الى غربي نهر تافنا ، فانتصب الامير عبد القادر الجزائري الى محاربة الفرنسيين فاذاقهم الامرين ، ولكنه . اضطر فى الاخير الى الالتجاء للمغرب بعد ان ساقت فرنسا الجيوش العظيمة ، واثر ذلك مد الفرنسيون ايديهم الى التراب المغربي ، فلما بلغ السلطان مولاي عبد الرحمن تعديهم حدود بلاده اشتد به الغضب ، وجهز جيشا عظيما اسند امر قيادته الى ابنه سيدي محمد ، وسار هذا الجيش حتى نزل بايسلي وهناك دارت فى شهر اغسطس سنة 1844 معركة عظيمة بين القوات الفرنسية المسلحة خير تسليح ، وبين الجيش المغربي الذي كان لا يملك اذ ذاك من المدافع الا القليل ، فدارت الدائرة عليه فاضطر المغرب الى عقد الصلح مع فرنسا .

هذا ما سجله التاريخ الصادق . ولكن بعض مؤرخي الشرق العربي ينسون كل هذا وينقلون حرفيا ما قاله المؤرخون الاوربيون عنها .

يقول جرجي زيدان : (واخيرا تمكنت فرنسا من اغراء سلطان مراكش بمحاربة الامير عبد القادر الجزائري فجرت بينهما معارك حامية كان النصر فيها حليفه حتى سنة 1487 . ثم آثر التسليم لفرنسا .) وقال الاستاذ حبيب جاماتي : فتعبت فرنسا من الامير عبد القادر الجزائري وهو لم يتعب فابدلت قائد الحملة ، وبعثت القائد القديم الجنرال بوجو ومعه الجيوش المجيشة ، ولم تكتف بذلك بل اغرت سلطان مراكش على معاضدتها

وفى اواخر سنة 1847 علم بقدوم المراكشيين ، وكانوا يزيدون على الخمسين الفا فخاف الامير عبد القادر على رجاله وان يكن لم يعرف الخوف قبلا فعادت اليه نخوته ، فهجم ليلا بذلك الجيش القليل وفرق شمل المراكشيين ثم عادوا فاجتمعوا ثانية ، وهاجموه فطاردهم وظهر عليهم ولكنه خسر جانبا من رجاله ، فراى الانسحاب افضل له .

ولم يتعرض الكاتبان للرواية المغربية .

واما امير البيان المرحوم شكيب ارسلان فروى الروايات الاروبية والمغربية اذ قال : (فلما سقط اكثر حصون الامير عبد القادر الجزائري فر الى المغرب وسعى فى حمل سلطان المغرب على اصلاء الفرنسيين الحرب فكانت بين جيش المغرب والجيش الفرنساوي واقعة ايسلي 12 اغسطس 1844 . ولما كان المغاربة لا يملكون من الآت القتال ما يملكه الفرنسيس انتصر الجنرال بوجو على الجيش المغربي ، وكانت بوارج فرنسا ضربت بالمدافع ثغري طنجة ومغادور فضيقت فرنسا على سلطنة المغرب من البر والبحر ، واجبرت السلطان مولاي عبد الرحمن صاحب المغرب على عقد الصلح 10 ايلول 1844 بالشروط التي تريدها ، واولها منع عبد القادر من تجاوز حدود الجزائر ، فلبث هذا نحو سنتين متربصا منتظرا غرة من العدو ليهتبلها، فلما لاحت له فى ثورة سنة 1844 انقض على بلاد الجزائر ثانية واوجف فى الغارة حتى بلغ بلاد البربر المسماة عند الفرنسيس كابيلي واعاد الامر كما بدا ، الا ان قوة عبد القادر كانت هذه النوبة تناقصت، وقدم الفرنسيس فى الجزائر قد رسخت فلم تستمر غارته ، واحاطت به الجيوش من كل جهة ، فاسرع الاوبة الى الحدود المراكشية ، فعادت فرنسا تتقاضى مولاي عبد الرحمن

تسليمه ، وما زالت تلح في ذلك حتى ساق عليه السلطان قوة عظيمة ، فلما راى نفسه بين نارين ، وان اخوانه المسلمين قد صاروا عليه البا مع الفرنسيس ، اشتد به الغضب ، وسلم نفسه الى الفرنسيس على يد الجنرال (لاموريسيار) 23 كانون الاول 1847 . ووقع الاتفاق على ان يخرج بعائلته من الجزائر ذاهبا الى الاسكندرية او عكا ، وعلى رواية اخرى يزيد قائلا وهي التي مال صاحب تاريخ الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى : لما يئس الامير عبد القادر من الفوز على الفرنسيس بقوته الخاصة حدثته نفسه بقلب سلطنة المغرب والجلوس على عرش فاس ، فاوجس السلطان عبد الرحمن خيفة من دسائسه ، وارسل تلك القوة لمطاردته وخضد شوكته قبل ان يستعصي امره . ولذلك صاحب الاستقصا بعد ان اثنى اولا على جهاده وعلو همته ،عاد فرماه اخيرا بسوء النية والفساد في الارض. وهو في كلتا الحالتين لم يلقبه بالامير بل بالحاج عبد القادر بن محي الدين) .

اما بعد فقد عرضت ما قاله مؤرخون شرقيون في هذا الموضوع ، واني لاهيب بمؤرخينا المغاربة ان يجلوا هذه الحادثة العظيمة ويكشفوا اسرارها حتى ينجلي الحق ويظهر الصواب . اذ لا يخفى ان المغرب امد الامير عبد القادر الجزائري بالاموال والاقوات والخيل والسلاح ، وعمل كل ما في وسعه اذ ذاك لمساعدة اخوانه الجزائريين ، فاصيب من جراء ذلك في ثغره وجيشه وسمعته العسكرية ، مما اضطره الى قبول شروط الصلح التي املاها عليه الفرنسيون املاء، وكان فيها خير له وللجزائر ، اذ لو سقط المغرب في ذلك الوقت في قبضة الاستعمار ، وصار مستعمرة كالجزائر لتاخر تحرير افريقيا الشمالية بعض الاعوام ، ولما وجد الجزائريون النافذتين اللتين يتنفسون منهما الان وهما تونس والمغرب ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ، صدق الله العظيم .

المراة في الاسلام

تابع للصفحة 32

والجمعيات الخيرية ، والاسعافات الوطنية ، والمنظمات النسوية ، وقد تفرغ ميادينها اذا اشتغلت بما هو من شأن الرجال ، وهم لا يستطيعون ان يقوموا بدور المراة في المجتمع ، نظرا لطبيعتهم وتبعا لصبغتهم . واذا اهمل البيت فان الرجل سيصبح من رواد المطاعم العمومية، بعيدا من نظام الاسرة واعداد العشيرة . واذا زاحمت المراة الرجل فيما هو له ، وتركت ما هو لها بالاصالة والعادة ، تكون قد هدت ركنا عظيما من اركان الحياة ، وهوت بالمجتمع الى الحضيض السافل ، ووقفت مع الرجل في ميدان واحد ، ولا يخفى على العقلاء والحكماء ما يتجر عن ذلك من المضار الاجتماعية والمفاسد الخلقية، التي تفضي لا محالة الى الاخلال بالحياة الاسلامية ، واضعاف اركانها وتحطيم روحانيتها ، ولا سيما مع هذا التقليد الاعمى والتعصب الاصم ، الذي نراه يهدد كياننا ويهدم عقائدنا من حياة التبرج والتظاهر بالزينة والتجرد من سيمة الحياء وما تلقاه هذه العادة الذميمة والحياة الاثيمة ، من تاييد وتحبيذ من لدن جنود التعصب لكل جديد وان كان باطلا ، والتمرد على كل قديم وان كان حقا .

على ان الحياة الجديدة اذا لم تنسج على خيوط القديم وتبن على احترام عقيدته وتاريخه واعتبار لغته وادبه ، فهي حياة زائفة زائغة، لا تلبث ان تزول وتتقطع اسبابها الواهية ، وتتداعى اركانها الهاوية .

ان استقلال المغرب العربي كان نتيجة لتمسك المغاربة باهداب الدين الحنيف ، وايمانهم العميق بالفضائل ومكارم الاخلاق ، ولنا في الامام الاعظم جلالة محمد الخامس اكبر دليل واقوى شاهد ، فقد غير مجرى التاريخ ، وهو المثال الصحيح في التحلي بالمحامد الانسانية ، والتخلق بالاخلاق الاسلامية ، والدعوة الى اعتناقها ، والتشبث بحكمها . ومثل هذا التمسك والايمان، هو الذي حدا بهم ان يضحوا بنفسهم ونفيسهم ويفدوا اوطانهم باعز ما لديهم ، وهو الذي اهاب بهم ان يحاربوا الاستعمار جملة ، ويقفوا امامه على الرغم من قوته المتيدة ، وعيونه العديدة ، وجماعته العنيدة ، واستفزازاته الشديدة ، وضرباته المبيدة .

ان ذلك كان منشؤه الايمان بوحي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لمجرد الهوى والتشهي ، ولا لحب التوسع والتمتع ، فان الثمن كان عظيما والرزء كان جسيما .

وذلك على عكس ما نسمعه من بعض من تبتوا على الزيغ والالحاد ، ان القرآن اصبح غير صالح لهذه الحياة الجديدة ، كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا .

اخذوا ذلك تقليدا ورددوه ترديدا وعذرهم لائح واضح، لم يطلعوا على نظام الاسلام وفضائله الاجتماعية ومحاسنه السياسية ومذاهبه العقلية ، ولم يدرسوا خصائص القرآن ، ولا عرفوا فيه وجوه البرهان ، ولا تدبروا احكامه وادبه ، ولا تتبعوا مذهبه وهدفه ، ولم يتفهموا السياسة الاسلامية ولا وقفوا على مزاياها الواقعية ، انما اجتزوا بما لقنه لهم اساتذة الاستعمار واعداء الاسلام ، وسلموا ذلك تسليما ، وما دروا غفر الله لنا ولهم ، انه كلما تقدم الزمان وتقدمت حضارة الانسان ، ازدادت معجزة القرآن ، وصدقت احكامه ، وتحققت اخباره ، واتضح سبيل الايمان به . نعوذ بالله ان نكون من الجاهلين ، والله يحب المتقين ويتولى الصالحين .

الإسلام والمذاهب الفكرية الحديثة

للأستاذ
مصطفى محمد الصباغ
من دمشق

لقد اغتبطت لصدور (دعوة الحق) التي ستجعل من نفسها ناشرا لبنود الفكر الاسلامي ، والدعوة لتعاليم هذا الدين الحنيف ، الذي طالما اسعد امما تمسكت به ، واحيا مجتمعات تعلقت باهدابه ، والذي استهوانـي كثيرا هو ان يكون ديدن هذه المجلة البحث فى الفكر الاسلامي ، فلطالما ظهرت مجلات اسلامية ، ثم مالبثت ان اندثرت ، وكثيرا ما قامت دعوات من صميم الحركة الاسلامية ثم كان مصيرها الحتمي التوقف عن متابعة العمل ، حينما مل الناس منها ولم تأتهم بجديد .

فالناس اليوم وخصوصا الطبقة المثقفة منهم يعيشون فى جو ملؤه الاتجاهات المختلفة ، والمبادىء المتباينة ، والدعوات العقائدية . فهم داخل هذا الضجيج ما بين مصدق ومكذب ، ومؤمن وكافر ، لهذا فانه من آكد الواجبات ان تقوم دعوة اسلامية لتوضح للناس سبيل الهداية وطريق الرشد ، وتفتح امامهم الباب لتجديد ايمانهم ، واصلاح حالهم ...

ان المطلوب من علماء الاسلام الذين يريدون خدمته باخلاص ان يطلعوا على ما جد فى عالم الفكر من مناهج ، ويدرسوها دراسة عميقة ، فان كان ماجاءت به هو الحق آمنا به وتركنا ما دونه ، وان كانت عبارة عن سراب بقيعة ــ وهذا هو الواقع ــ فليبينوا لنا حقيقة ذلك بالقواعد العلمية والبراهين المنطقية ، ولينقذوا كثيرا من المتخبطين فى ظلمات الغواية ، المنحرفين عن سبيل الله ، اللذين اغرتهم المظاهر البراقة ، والصور الخادعة فتمسكوا بها وتنكبوا سوى السبيل .

ان الاسلام غني بمناهجه ، غني بثروته الفكرية ، غني بمبادئه الانسانية ، ولكن الاطار الذي عرض فيه الاسلام فى عصور الانحطاط ليس هو الذي يلائم العصر القائم الآن ، لهذا فاننا نرغب فى استخراج اساليب تطبيقية تتلاءم مع متطلبات عصرنا هذا ، او تطوير الاساليب العتيقة بحيث تصبح ماثلة للتنفيذ دونماحرج وبكل بساطة .

اننا نرى ان المذاهب الفكرية الحديثة هي التي تنظم شؤون المجتمعات من جميع الوجوه ، وهي ــ دون شك ــ من القوة بمكان ، كما انها هي القائمة دون غيرها بتسيير المجتمع العالمي والتحكم فى مقدراته ، وتصريف امكانياته ، وقد تبين لنا من خلال بعض تجاربنا الماضية اننا لا يمكن ان نساير هذا التيار الجارف الا اذا طورنا بعض مفاهيمنا البالية ، وتمسكنا ــ فقط ــ بالنقط الاساسية التي لا يستوي ديننا قائما الا بها ، اما الاساليب وطرق التنفيذ ، فلا علينا اذا استنبطناها حسب حاجاتنا الضرورية القائمة ، وبهذا فقط نكون واقعيين فى ارادتنا جعل المبادىء التي جاء بها ديننا الكريم ، سهلة المنال ، قوية المفعول ، قابلة التنفيذ ، ياخذ بها الناس على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم ويفتخرون بها ويجعلونها من قلوبهم فى المكان اللائق .

ان الانسانية اليوم تتخبط فى مشاكل عديدة وعويصة ، ولا يستقيم لهذا الكون امر الا اذا حلت هذه المشاكل على النحو الذي ترضى عليه اغلبية البشر ، وان كل اتجاه من الاتجاهات الموجودة ضمن المجموعات البشرية ، الا ويعطي الحلول التي يرتئيها ناجعة لهذه المشاكل المستعصية

فما هو الحل الذي يقدمه الاسلام ؟

ان مسؤولية تقديم الاسلام لرأية فى الحل النهائي تقع على علمائه الذين لم يدرسوا المجتمع الحاضر

انظر البقية على الصفحة 44

لا يجوز للأب أن يجبر ابنته على الزواج

للأستاذ :
محمد بن احمد الأمراني

كان الامام ابو حنيفة يقول (حرام على من لم يعرف دليلي ان يفتي بكلامي) وكان اذا افتى يقول : (هذا راي ابي حنيفة ، وهو احسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا باحسن منه فهو اولى بالصواب)

وقال الامام الشافعي للربيع : (يا ابا اسحاق ، لا تقلدني فى كل ما اقول ، وانظر فى ذلك لنفسك فانه دين) .

وقال الامام احمد : (انظروا فى امر دينكم ، فان التقليد لغير المعصوم مذموم ، وفيه عمى للبصيرة) .

وكان عالم المدينة وامام دار الهجرة اذا استنبط حكما يقول لاصحابه : (انظروا فيه فانه دين ، وما من احد الا وماخوذ من كلامه ومردود عليه الا صاحب هذه الروضة) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على ضوء اقوال هؤلاء الائمة الجهابذة المجتهدين ، وعلى ضوء الاحاديث الصحيحة الآتية ، احاول ان ابحث مشكلة من مشاكلنا الاجتماعية الخطيرة التي يذهب ضحيتها كثير من الفتيات ، هذه المشكلة هي اكراه الولي البنت على الزواج بمن لا ترضاه ، فكم من مآسي محزنة ، وبيوت تحطمت ، وعائلات عاشت وتعيش فى جحيم لا يطاق ، بسبب انعدام روح المحبة والالفة بين الزوجين ، تلك المحبة والالفة الضروريتان لبناء حياة زوجية سعيدة ، وبالتالي لتشييد مجتمع سليم ، ويرجع ذلك فى معظم الاحوال الى فقدان الانسجام الفكري والتوافق الثقافي ، واحيانا الى البون الشاسع بين السنين ، ولا شك ان لدى القارىء صورا عديدة من ضحاياه ناطقة بعواقبه الوخيمة ونتائجه السيئة .

ترى هل التشريع الاسلامي يبيح للولي ان يجبر موليته على الزواج بخطيب دون مشورتها ورضاها ؟ كلا ، ان الشريعة الاسلامية لم تجعل للرجل ان يزوج ابنته الا بعد ان يستشيرها فى الزوج الذي يود خطبتها فان وافقت صح العقد وان رفضت لم يصح وليس له ان يجبرها ، يدل على هذا الاحاديث الصحيحة الواردة فى صحيح البخاري وهي كثيرة يقوى بعضها بعضا .

جاء فى نيل الاوطار للشوكاني ما يلي : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البنت احق بنفسها من وليها ، والبكر تستاذن فى نفسها واذنها صماتها ، رواه الجماعة الا البخاري، وفى رواية لاحمد والنسائي : والبكر يستامرها ابوها ، وفى رواية لهما ايضا : واليتيمة تستاذن فى نفسها ، وفى رواية لابي داود والنسائي : ليس للولي مع البنت امر ، واليتيمة تستامر وصمتها اقرارها .

وعن خنساء بنت خدام الانصارية ان اباها زوجها وهي ثيب ، وفى رواية فى البخاري وهي بكر ، فكرهت ذلك ، فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها اخرجه الجماعة الا مسلما .

فها نحن نرى فى الحديث الاول المروي عن احمد والنسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : والبكر يستامرها ابوها ، ومعلوم ان الاستئمار هو طلب الامر فيكون المعنى كما فى الشوكاني ان الولي لا يجوز له ان يعقد على الفتاة التي يراد نكاحها حتى يطلب الامر منها فان رضيت فذاك والا لم يصح العقد .

واما الحديث الثاني فهو واضح الدلالة على المراد.

وجاء فى عمدة القارىء شرح صحيح البخاري للشيخ العلامة بدر الدين العيني ما ياتي: روي الدارقطني

والطبراني من طريق هشيم عن عمر بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة ، ان خنساء بنت خدام الانصارية زوجها ابوها وهي كارهة ، فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها ، ولم يقل فيه بكرا ولا ثيبا ، وقد جاءت احاديث بمثل حديث خنساء ، منها حديث عطاء عن جابر ان رجلا زوج ابنته بكرا ولم يستاذنها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم ففرق بينهما ، اخرجه النسائي ، ومنها ان ابن عمر رضي الله عنهما تزوج ابنة خالد وان عمها هو الذي زوجها وفيه فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها ، اخرجه الدارقطني) .

ومنها حديث ابن عباس ، ان جارية بكرا اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ان اباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه احمد وابو داود وابن ماجة والدارقطني ، ورواه ايضا عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وذكر انه اصح ، ثم قال العلامة العيني : (وقد احتج اصحابنا باحاديث الباب وبهذه الاحاديث على انه ليس للولي اجبار البكر البالغة على النكاح)

وفي التوضيح اتفق ائمة الفتوى بالامصار على ان الاب اذا زوج ابنته الثيب بغير رضاها انه لا يجوز ويرد احتجاجا بحديث خنساء وغيره .

وقد شذ الحسن البصري والنخعي ، فخالفا الجماعة فقال الحسن : نكاح الاب جائز على ابنته بكرا كانت او ثيبا كرهت او لم تكره ، وقال النخعي : ان كانت البنت في عياله زوجها ولم يستامرها وان لم تكن في عياله او كانت نائية عنه استامرها ، ولم يلتفت احد من الائمة الى هذين القولين ، لمخالفتهما السنة الثابتة في حديث خنساء الانصارية وغيرها) .

وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تنكح الايم حتى تستامر ، ولا البكر حتى تستاذن ، قال يا رسول الله وكيف اذنها قال ان تسكت رواه الجماعة .

ولعل هذا هو الذي تمسك به المالكية فجعلوا للاب اجبار ابنته البكر على النكاح دون الثيب فقد قالوا في هذا الحديث : ان الرسول صلى الله عليه وسلم غير في جانب الثيب بالاستئمار وفي جانب البكر بالاستئذان، فيوخذ منه فرق بينهما من جهة ان الاستئمار يدل على تاكيد المشاورة وجعل الامر للمستامرة ، ولهذا يحتاج الى صريح اذنها ، فاذا صرح بمنعه امتنع اتفاقا ، والبكر بخلاف ذلك ، والاذن دائر بين القول والسكوت، بخلاف الامر فانه صريح في القول ، ولكن يعكر على هذا الفهم الآثار الواردة في صحيح البخاري ، وقد ذكرت في طليعة المقال ، كما يحتج على المالكية باحاديث اخرى صحيحة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم منها الحديث المروي عن ام المومنين عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله تستامر النساء في ابضاعهن؟ قال نعم ، قلت : ان البكر تستامر فتستحيي فتسكت فقال : سكوتها اذنها ، قال بعض المحققين : لا يكون سكوت البنت اذنا للاب بتزويجها الا اذا كانت تعلم ذلك، فان كانت لا تعلم فينبغي اعلامها ، وكذلك الحديث الذي رواه احمد عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : تستامر اليتيمة في نفسها ، فان سكتت فقد اذنت، وان ابت لم تكره .

ثم لنستمع الى هذا الاثر الشريف الذي رواه ابن ماجة واحمد عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال : جاءت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان ابي زوجني من ابن اخيه ليرفع بي خسيسته ، فجعل الامر اليها ، فقالت : قد اجزت ما صنع ابي ، ولكن اردت ان اعلم النساء انه ليس الى الآباء من الامر شيء) تعني انه ليس لهم اكراههن التزوج بمن لا يرضينه .

اليست هذه الاحاديث صريحة في اعتبار الرضى من البنت التي يراد تزويجها ؟

قال الامام المجتهد العلامة الشوكاني في نيل الاوطار: (ظاهر احاديث الباب ان البكر البالغة اذا زوجت بغير اذنها لم يصح العقد ، واليه ذهب الاوزاعي والثوري والحنفية ، وحكاه الترمذي عن اكثر اهل العلم ، وذهب مالك والشافعي والليث وابن ابي ليلى واحمد واسحق ، الى انه يجوز للاب ان يزوجها بغير استئذان ، ويرد عليهم ايضا بحديث عبد الله بن بريدة وحديث ابن عباس المذكور ان جارية بكرا . . . الخ .

واما ما احتجوا به من مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم : الثيب احق بنفسها من وليها ، فدل على ان ولي البكر احق بها منها ، فيجاب عنه بان المفهوم لا ينتهض للتمسك به من مقابلة المنطوق .

وما اجاب به بعضهم من ان المراد بالبكر المذكورة في حديث ابن عباس ، اليتيمة ، لما وقع في الرواية الاخرى من حديثه : واليتيمة تستامر ، فيحمل المطلق على المقيد، يجاب بان اليتيمة هي البكر، وايضا الروايات الواردة بلفظ تستامر وتستاذن (بضم اوله) هي تفيد مفاد قوله يستامر ابوها وزيادة ، فلا تعارض بين الروايات .

وهذه نازلة وقعت فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما يحدث شبيهها فى ايامنا هذه ، (عن ابن عمر قال : توفي عثمان بن مظعون وترك ابنة له من خولة بنت حكيم بن امية بن حارثة بن الاوقص ، واوصى الى اخيه قدامة بن مظعون ، قال عبد الله وهما خالاي، فخطبت الى قدامة بن مظعون ابنة عثمان ابن مظعون ، فزوجنيها ، ودخل المغيرة بن شعبة ، يعني الى امها ، فارغبها فى المال فحطت اليه (اي مالت اليه واسرعت) وحطت الجارية الى هوى امها ، فابتا حتى ارتفع امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قدامة بن مظعون: يا رسول الله ابنة اخي اوصى بها الي ، فزوجتها ابن عمتها ، فلم اقصر بها فى الصلاح ولا فى الكفاءة ، ولكنها امراة ، وانما حطت امها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي يتيمة ولا تنكح الا باذنها قال فانتزعت والله مني بعد أن ملكتها، فزوجوها المغيرة ابن شعبة ، رواه احمد والدارقطني ، وهو دليل على ان اليتيمة لا يجبرها وصي ولا غيره .

وهذه نازلة اخرى وقعت فى عهد الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وهي تدل على ان اعتبار الرضى من الفتاة التي يقصد انكاحها ــ مفروغ منه وهذه النازلة هي : خطب رجل من الموالي الى رجل من قريش اخته ، واعطاها مالا جزيلا ، فابى القرشي تزويجها اياه ، فلما بلغ ذلك عمر قال للقرشي : ما منعك ان تزوجه ، فان له صلاحا وقد احسن عطية اختك ؟ فقال القرشي : يا امير المومنين ان لنا حسبا وانه ليس لها بالكفء ، فقال عمر : لقد جاء بحسب الدنيا والآخرة ، اما حسب الدنيا فالمال ، واما حسب الآخرة فالتقوى ، زوج الرجل ان كانت المراة راضية ، فراجعها اخوها فرضيت فزوجها منه .

فهل بعد هذه الدلائل القوية المستندة على الاحاديث والاقوال المأثورة يبقى لاحد ان يعارض او يجادل ؟ واذا كان قضاة المحاكم الشرعية يتمشون مع مذهب الامام مالك ، فان مذهبه ــ كما راينا ــ محجوج بالاحاديث الصحيحة التي سقناها فى هذا المقال .

وعسى أن تكون هذه البراهين القاطعة مقنعة اولياء الفتيات ، حتى يعدلوا عن فكرتهم ، وحتى نرى فراشة السعادة الزوجية ترفرف باجنحتها الملونة على بيوت بناتهم فيسعدن ويسعد معهن المجتمع المغربي المتطلع الى الحياة الهنيئة والرفاهية المتوخاة ، ريثما تبث لجنة تدوين القانون الاسلامي فى هذه النقطة ، وتصادق عليها بصفة نهائية .

تابع للصفحة 41

ومشاكله دراسة موضوعية ايجابية ، ويعطوا لامراض هذا المجتمع الادوية الشافية التي تنجيه مما هو فيه .

ان على مفكري الاسلام ان يشاركوا فى الصراع الدولي القائم الآن ، وعليهم ان يدرسوا كل الجوانب المحيطة بهذا الصراع ، ويجب ان يستخرجوا من بطون امهات الكتب الاسلامية الحل المرضي لمعضلات الكون ، وعليهم ان يجعلوا هذا الحل المتطلب واقعيا وصريحا وواضحا يرتفع الى مستوى الاحداث السياسية والفكرية ويحللها ويفحصها ، ثم يقرها او يسحبها .

وهناك شيء آخر من الاهمية بحيث لا يجوز اغفاله ، وهو : ان على علماء الاسلام ومفكريه ان يعملوا على رفع مستوى المجتمع الاسلامي ، وتهذيب وعيه ، وتثقيف مداركه حتى يبلغ الى درجة يستطيع معها المشاركة الفكرية فى فلسفة النهضة الحضارية التي يسير فيها العالم المتحضر اليوم ، لان العلماء والمفكرين وحدهم لا يستطيعون عمل شيء من اجل الاسلام اذا لم يسندهم المجتمع بقوته ويعينهم على نشر رسالتهم بوعيه ، وادراكه ، وسلوكه ، ولن تقوم للفكر الاسلامي قائمة اذا لم يرتكز على هذه الدعامة ، لان الشعب هو الذي يقر السنن حينما يؤمن بها عن فهم حقيقي وادراك عقلي ، ولن يستفيد الاسلام شيئا اذا حوفظ على الوضع القائم الان من كون العامة لا تفهم الاسلام الحنيف الا عن سبيل التقليد فقط .

ان علماء الاسلام يرتكبون خطا فاحشا حينما يرضون بما خلفه لهم الاقدمون من دراسات وبحوث وضعوها حسب حاجات وقتهم وادت رسالتها آنذاك ، ولم تعد لتنفعنا مباشرة اللهم الا فى الرجوع اليها كمصادر والاستفادة منها كاصول .

ان العالم يتقدم ، وان الحاجات تستجد ، وعلينا ان نساير الركب الزاحف، بمفاهيمنا القانونية والاخلاقية والانسانية ، والا فسنبقى حيث وقف اجدادنا، وسيزداد الدهر علينا تاليا ، وتزداد مشاكلنا تعقدا ، ولن يحل هذا المشكل الا الاتقاد فى الافكار ، وتطوير العقليات ، وتنوير الاذهان .

هذه دعوة حق اصارح بها علماءنا ومفكرينا : ان الدعوة الاسلامية يجب ان ترتكز على اسس قوية ، ومرنة ، وواضحة ، وانه لن تقوم لنا قائمة ما دمنا مقرين على الحالة الراهنة من الجمود ، والانحطاط والكسل ، كما انه لن نستطيع ان نتحف الدنيا بجديد ما دامت هذه الكلمة المأثورة بين اعيننا (ليس فى الامكان ابدع مما كان) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الفكر الانساني كما يراه ابن خلدون

للأستاذ
محمد الأمري المصمودي

انا مسؤولون امام التاريخ والاجيال المقبلة عن الاهمال الذي يخيم علينا حيال هذه الثروة الضخمة التي خلفها ذوو الفكر من اسلافنا المقدسين ، ثروة فى الدين ، ثروة فى الفلسفة ، والاداب والرياضيات وجميع فروع المعرفة التي دفعت المدنية الانسانية اشواطا بعيدة فى معارج التقدم المادي والمعنوي، واسوا من هذا ان يكون الاجانب اسبق منا للتطلع الى معرفة هذه الثروة العلمية ودراستها ووضعها فى مكانها بين المحركات التي دفعت قطار الحضارة الى الامام ، يفعلون هذا فى الوقت الذي يجهل اكثرنا اي شيء عن حضارة الاسلاف ، ولا اي مظهر من مظاهر تقدمهم الفكري والاجتماعي ، ثم ان كثيرا من مثقفينا تراهم يستشهدون فى معرض المذاكرة بآراء مفكري الغرب ، يفعلون ذلك فى حماسة واعجاب بالادمغة التي تفتقت عن هذه الافكار او تلك ، ويجهلون للاسف اننا لا نعدم قط نماذج من مثل الادمغة التي يتحمسون لافكارها ، ان لم تكن هذه صدرت عن تلك ، واستمدت معينها منها ، وليس القصد من هذه الدعوة الى ترك التعرف على ما لغيرنا ، بل القصد ان ندعو مثقفينا الى معرفة ما كان لنا وما عندنا اولا ، ثم ما كان لغيرنا وما هو كائن عند غيرنا فى الدرجة الثانية .

وعلى هذا الاساس اتقدم لقراء مجلة (دعوة الحق) المباركة بغيض من فيض ، وبارقة من بوارق احد رجال الفكر المغاربة ، يعرف الكثير منا اسمه ، وقليلون هم الذين درسوا كتبه او اطلعوا على بعضها ؛ لكسل فريق ، وللنظرة الناقصة التي ينظر بها فريق آخر الى مفكرينا العرب ، كأن العبقرية لم تحط رحالها طيلة قرون فى بلادهم الكبيرة .

لقد تعرض العلامة ابن خلدون فى مقدمته من جملة ما تعرض له من المواضيع التي تتعلق بالعمران البشري، وما يتعلق بالبشر فى حياته المادية والمعنوية ، الى الفكر الانساني بالتحليل ، ما هيته ، طريقة عمله ، وهو موضوع شغل علماء النفس طيلة احقاب طويلة ، ولا يزال يشغلهم الى الآن ، ولا تزيد آراء كثير منهم عن آراء ابن خلدون الا فى تفصيلاتها وتفريعاتها ، وسأسعى جهد الامكان لعرض راي ابن خلدون ومقابلته بآراء علماء النفس ، حتى يتضح لنا جيدا مدى قيمة الرجل العلمية ، وبالتالي بعض الحقائق التي نستخلصها عن طريق رايه فى الفكر الانساني .

فالفكر كما يعرفه (وجدان حركة للنفس فى البطن الاوسط من الدماغ) وقبل الشروع فى مناقشة الشطر الاول من التعريف ، نتساءل ما حد النفس عند ابن خلدون ؟ ويكفينا مشقة التخمين للاجابة عن هذا السؤال ، فيعرف النفس بانها (مؤثر روحاني مباين للاجسام ، محرك ومدرك ، وله طرفان اسفل واعلى ، فالاسفل متصل بالبدن ، وبه تكتسب الاشياء الحسية ، والاعلى متصل بافق الملائكة ، وبه تكتسب الحقائق العلمية والغيبية ، وهي غائبة عن العيان، وآثارها ظاهرة فى البدن ، فكأن هذا البدن وجميع اجزائه آلات للنفس وقواها ؛ فالمحرك او الفاعلية على حد تعبيره : البطش باليد ، والمشي بالرجل ، والكلام باللسان ، والحركة الكلية بالبدن متدافعا ، والمدرك — ولقوة الادراك ترتيب وارتقاء الى القوة العليا التي هي المفكرة وترتيبها عنده كما يلي :

1) قوى الحس الظاهرة بحواسه من السمع والبصر (اي الحواس)

2) قوى الحس الباطن ، وهذا ينقسم الى :

1) الحس المشترك ، ويقصد به القوة التي تدرك المحسوسات البصر منها والمسموع والملموس فى حالة واحدة .

2) الخيال ، ويقصد به القوة التي تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو ، ويجعل اداة هاتين القوتين (الحس المشترك والخيال) البطن الاول من الدماغ ، مقدمة للحس المشترك ، ومؤخره للخيال ، ثم ان الخيال يرتقي الى

1) واهمة ومهمتها ادراك المعاني التي تتصل بالشخصيات ، ويضرب لذلك امثلة ، (عداوة زيد ، صداقة عمرو ، رحمة الاب ، افتراس الذئب)

2) حافظة ، ومهمتها حفظ المدركات كلها المتخيلة منها وغير المتخيلة . ورايه هذا في الحافظة لا يختلف عما يذهب اليه علم النفس الحديث من انها تحفظ المدركات الى حين الاحتياج حيث ياتي دور الذاكرة ، وصاحبنا يقول بالنص (وهي لها — اي المدركات — كالخزانة تحفظها لوقت الحاجة اليها) واداة هاتين القوتين (الواهمة والحافظة) البطن المؤخر للدماغ ، مقدمة للواهمة ، ومؤخره للحافظة ، وهذه جميعا ترتقي الى قوة الفكر ، واداته البطن الاوسط من الدماغ ، وبقوة الفكر تتحرك النفس ، وتتوجه نحو التعقل ، وذلك لما طبعت عليه من الميل نحو التخلص من الطاقة والاستعداد البشريين ، وهي في تعقلها تخرج الى الفعل ، فاذا هي لم تستعمل الحواس في ادراكها وتعقلها فانها تكون في اول مراتب الروحانيات (متشبهة بالملأ الاعلى الروحاني) وهو لا يصل الى النفس الا بعد ان يتدرج في مراتب ، بادئا بالمعادن ، ثم النبات ، ثم الحيوان ، ثم الانسان ، غير ناس الصلة التي تربط بعضها ببعض ، وارى انه في هذا متاثر بنظريات الفلاسفة ، وخصوصا الاسلاميين كالفارابي وابن سينا ويقول هذا الاخير :

وتحسب انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

وهو ما عبر عنه ارسطو قبل ذلك بالوحدة الصغرى وما عبر عنه الصوفية بوحدة الوجود ، ويظهر اننا تمكنا من المفتاح الذي يساعدنا على فتح ما قد يستغلق من نظره في الفكر ، وهذا المفتاح هو ان الفكر ارقى مظاهر النفس ، وحركة هذا الجزء الارقى نحو التعقل والادراك ومنبع هذه الحركة او مصدرها البطن الاوسط من الدماغ ، وهنا لابد من سؤالين 1) ماذا يقصد ابن خلدون بالبطن الاوسط من الدماغ؟ وما مدى صحة هذا الراي في نظر العلم الحديث ؟ اما الدماغ فهو يقصد به بدون شك المخ ، وهذا يمنعنا من ان نستبعد انه يقصد به وسط المخ بما فيه اللحاء والمادة البيضاء . الا ان العلم الحديث يقسم الدماغ الى مخ ، ومخيخ ، ونخاع مستطيل ، ويذكر ان المخ هو المسيطر على المراكز السفلى ، والمسؤول عن الاعمال العقلية العليا ، وانه مصدر الاعمال الارادية ، وقد توصل العلماء منذ اوائل القرن العشرين الى تحديد مراكز ، خاصة العليا من المخ وتسمى اللحاء ، وتاكدوا من ان كلا منها يقوم بوظيفة خاصة ، وقسموا هذه المراكز الى

1) حسية
2) حركية
3) مشتركة .

فالحسية للسمع والبصر والذوق والشم ، والحركية منها تصدر اعصاب الحركة الموصلة للاعضاء، كاليد والرجل والوجه والعنق واللسان ، وفي هذه تدخل مراكز للشعور بحركة الجسم ، والمشتركة تحتفظ بآثار المراكز السابقة ، وبها تنتفع في الفكر والتخيل والتذكر ،ومن هذا نرى ان التحديد الذي ذكره ابن خلدون ليس مما يوافقه عليه العلم الحديث ، فالمركز الذي يذكر انه اداة للحس المشترك والخيال ، وهو البطن الاول من الدماغ ، عرف زمنا بالمنطقة الصامتة ، حتى عززت الابحاث المتتالية من اعتقاد العلماء بان هذه المنطقة الصامتة هي المركز الجسماني الذي تنعكس منه هذه الظواهر الخلقية التي يتميز بها عن غيره ، وبعبارة اخرى ، هي موطن الافكار السامية ، قرروا هذا بعد حادثة عامل اصيب في الطرف الامامي من مخه ، فشفي بعد دخوله الى المستشفى ، ولم يصبه شلل او تعطيل جسمي ، لكن شخصيته تبدلت فاضحى كسولا ، كثير الكذب والغش، بعد ان كان نشيطا مخلصا امينا، والموطن الخلفي الذي يجعله مركزا للواهمة والحافظة ، ان كان يقصد به المخيخ — وهو مالا يستبعد — فالعلم الحديث يفيدنا انه مركز التوازن وضبط العضلات ، وان كان يقصد به مؤخر المخ نفسه ، فاننا نجد بعضه حسب بحوث العلماء وتجاربهم للمس ، وبعضه للبصر ، اما الناحية الوسطى التي هي في نظر ابن خلدون مركز الفكر الذي هو حركة للنفس ، ففيه موطن الحركة ، والسمع. والحقيقة كما اثبتها العلماء ان المواطن المشتركة ، او الاجزاء غير المظلمة في رسم المخ ، هي القوة المفكرة او ما يسمى الذكاء او العقل . وبالرغم من هذا لا يسعنا ان نلوم صاحبنا او نرميه بالقصور ، لان ما ذكره اقصى ما توصلت اليه التجارب على عهده ، ومن جهة اخرى فان جميع ما ذكره له ارتباط بالمخ على راي فريق من العلماء. واقول (فريق من العلماء) لان هناك فريقا آخر لا يطمئن التفسير المادي للفكر وحده ، فلقد تقدمت الابحاث العلمية مرة اخرى ،فوجدت ظواهر فكرية لا يمكن تعليلها تعليلا كافيا بالنظرية المادية وحدها ، ويحق لنا ان نطرب لو صح لنا ان ندعي ان هذا ما عناه ابن

انظر البقية على الصفحة 67

صراع في ظلال الاطلس



يحيى بن يوسف

التاسع

ذهبت نفسه حسرات على الايام الماضية ، تلك الايام التي كان يرفع فيها كيس القمح بيد واحدة ، ويحمله الى داخل المنزل ، ويثير الرعب في اشد القلوب ثباتا ، واصلب النفوس عودا ، ويقضي حياته في المشاكسات وخوض حلبات المقاتلة والعراك .

اجل لقد بات عم مكوار اخيرا في ارذل العمر ، وهو يجيب اليوم اجوبة مختلفة على كل سؤال يوجهه اليه الناس عن سنه ، لانه لا يعرف متى ولد ، فقد اتى الى هذه الدنيا في الايام التي لم يكن يحسب فيها للانسان حساب ، ولذلك كان ميلاد المرء لا يدعو الى الاهتمام بحيث تستخرج به شهادة ... فان عم مكوار يخال انه في مثل قدم السماء والارض ، وانه لا اول له لطول الذي قضاه في الحياة ، وتبدو له ايام طفولته وشبابه وكهولته بعيدة لكثرة ما تراكم عليها من الاسابيع والشهور والاعوام ، بل انه لا يذكر مطالع شيخوخته فقد اصبحت هي ايضا بعيدة بعيدة ...



وحينما تختفي قوة الانسان الجثمانية ، لا يجد بدا من ان يستعيض عنها بقوة اخرى ، وخصوصا اذا كانت تلك القوة الجثمانية قد صرفت طاقتها في اسباب العراك والخصام التي كانت تذهب في كثير من الاحيان الى حد العناد والتحدي والاعتداء ايضا . اما القوة التي استعاض بها هذا الشيخ الطاعن في السن قوته الماضية ، فكانت تتمثل في سخريته اللاذعة التي بات يستخدم فيها لسانه وعينيه ووجهه وحركة كتفه وذراعيه وبدنه جميعا .

قال عم مكوار لنفسه بعد ان تامل ما آلت اليه امور الحياة في مرارة ساخرة :

تالله انها لفاجعة ، احفادي وابناء احفادي وربما ابناء ابنائهم يجرون في الشوارع كالابالسة ، لا يرهبون رصاصا ولا مدفعا ولا طائرة ، والعم مكوار قابع هنا في بيته كان لم يرفع يده بالامس ... ويقتحم عليه الجنود عقر داره ليفتشوا غرفها ويتلفوا اثاثها ويفزعوا سكانها ، والعم مكوار لا ياتي حراكا ، وانما يقلب عينيه بين الجنود واسلحتهم ، ويتناسى ما هم فيه من جهد ، فاذا علت وجهه بسمة ساخرة نظر اليه الجنود شزرا فعاد العبوس الى وجهه سريعا ، وهو اكثر سخرية من البسمة الزائلة .

ان تلك الزوابع التي كانت تسير امامه وفي اثره اجيالا بعد اجيال ، قد تحولت الى صوت خافت ابح ، ونظرات منطفئة ، وخطوات متهالكة ، وعزم كسيح .

فما بقي في الحياة مما يستطاب ؟ شيء واحد .. السخرية .. فلولا السخرية وحدها لانقطعت اسبابه باسباب الحياة ، فقد استعاض عم مكوار بقوتها عن كل سلطان ونفوذ وقوة ...

فكيف يعمد الغلمان الى قوة سواعدهم لمنازلة هؤلاء الغزاة الفاتحين ، ولا ينازلهم هو بالقوة الباقية التي يعتز بها ؟ ولما لم يسعفه الرد ، اخذ يتساءل .. اليست هذه بلاده كما هي بلادهم ؟ اليس هو اولى بالدفاع عنها منهم لانه مدين لها بالحياة كل هذه الادهار الطويلة ؟ ثم اليس من الخجل ان يلزم عقر داره والمعركة دائرة على اشد ما تدور المعارك احتداما وقوة ؟

هذه هي الخواطر التي كانت تعتمل في صدر الشيخ وهو يغادر المنزل الى الشارع بخطواته البطيئة الواهنة، ووقف عند الشارع مدة متوكئا على عصاه الطويلة وهو يخشى ان يسقط من فرط الوهن .

في هذه الاثناء مر به غلام يحمل سلة كبيرة فلم يتمالك الشيخ ان دعاه اليه ، حتى اذا ما اقترب منه خاطبه بصوته الخفيض :

الى اين يا غلام ؟ (فقد اصبح يهتم بكل حركات افراد هذا الجيل الشيطاني الذين اعتاد ان يدعوهم بالابالسة .

— الى السجن يا جداه . ولما كان كل عمل يأتيه هؤلاء الافراد غير مفهوم لاول وهلة ، تساءل الشيخ في دهشة :

— تسعى الى السجن على قدميك حاملا زادك ولا ريب ؟

— بل انه زاد اخي يا جداه ، لقد سمحوا لنا اليوم لاول مرة منذ ستة اشهر بان نحمل اليه طعاما ، وانت تعرف ان تناول طعام السجن وحده لمدة ستة اشهر مما يوهن العظم وينخر الشباب .

فغفر الشيخ فاه في سخرية من هذا الغلام الذي يتحدث عما يوهن العظم وينخر الشباب وهو في ميعة الصبا .. فهل تراه يزعم لنفسه انه بلا ذات الشيخوخة

ولم يتمهل الغلام ، وانما تابع سيره في جدل ليحمل الطعام الى اخيه السجين ، ويراه لاول مرة منذ اعتقل في مسجد المدينة .

ذلك ان السلطة الفرنسية في المدينة المراكشية الصغيرة ، قررت اخيرا ان تكون رحيمة وان تسمح لعائلات المسجونين بزيارتهم بعد هذه المدة الطويلة ، ولعل مما دعاها الى ذلك اطراد فترة التوتر ، ورغبتها في عودة المياه الى مجاريها ، بعد ان تم ما رمت اليه من ابعاد السلطان (محمد بن يوسف) من البلاد ، فلن يكون غيرها الكاسب من وراء عودة الاشياء الى طبيعتها، فيسود الهدوء وتطمئن الانفس ، وينسى الرجل الكبير في منفاه .

قال الشيخ مخاطبا نفسه في اصرار وفضول : بماذا يفضلني هذا الولد ؟ انا ايضا ساذهب الى السجن، فلعل ان يكون من بين نزلائه شيخ في مثل سني لا اخ له سواي ...

ولم يكن من اليسير على عم مكوار ان يصل الى مكان السجن خارج المدينة، بالرغم من انه كان غير بعيد ، ولكن عم مكوار اذا قرر شيئا فلا احد يستطيع ان يصده عن قراره ، فبالرغم من الدبيب الذي طال ، والتوقف الذي تعدد ، تمكن اخيرا من ان يقترب من السجن .

راى هناك جمهورا غفيرا قد تجمع حول البوابة الحديدية الضخمة ذات القضبان الهائلة ، ولما اقترب من الجمهور استطاع ان يتبين ساحة كبيرة من ورائها بوابة ضخمة اخرى ، وبين البوابتين ازدحم الحراس والجنود .

اعتمد الرجل على عصاه واخذ ينتظر مع الوقوف، وقد سخر من معاملة الانسان معاملة الحيوان ، ولكنه ثائر بالرغم من سخريته ، ان الحيوان يوضع في القفص لخطورة فتكه ، اما هؤلاء المساكين فانهم يوضعون في الاقفاص لشدة حبهم ... انهم يحبون بلادهم وملكهم. ولكن لا لزوم للتعجل وسنرى .

فتح باب صغير وخرج منه ضابط مدجج بالسلاح وهو يأمر الناس بان يصطفوا في طابور ويحملوا ما معهم من طعام تمهيدا لتقديمه الى المسجونين بالدور في الساحة التي تقع امامهم ،فاهتز العم مكوار اهتزازة خفيفة وهو يكتم ضحكة مريرة ، واخذ يسعى الى مكانه من الطابور ، ثم اخذ يتتبع ما يجري بعيون يقظة. فراى بالرغم من كلال بصره على الجانب الآخر من الساحة عند البوابة الاخرى ، جمهورا غفيرا آخر فقال لنفسه : ان وضعيتنا واحدة ، فمن المعتقلون يا ترى نحن ام هم ؟ .

وواصل تتبعه للحوادث .

كان الرجل من الزوار عندما يأتي دوره ، يتقدم الى الحارس الشرس ، ويهمس اليه باسم الشخص السجين الذي يريد زيارته ليقدم اليه الطعام ، فيردده هذا بصوت عال ، ثم يردده بعده حارس آخر في منتصف الساحة ، ثم من بعده حارس ثالث عند البوابة الاخرى، وهنا يخرج الشخص المطلوب الى وسط الساحة، فيتقدم اليه زائره ثم يحييه ويقدم اليه ما حمله من طعام، ثم بعد ذلك يعود كل واحد منهما الى معتقله ...

وكان الحراس الثلاثة يرفعون اصواتهم بالاسم عاليا في عنف وقوة حتى يذكروا الجانبين بباسهم وطغيانهم ، وهنا خطرت لعم مكوار فكرة ارتج لها صدره بضحك مكتوم ، حتى ان الناس التفتوا اليه في استغراب ، فما عرفوا ان في مثل هذا المكان ما يدعو الى الضحك ، ولكن معظمهم عرفه فزال عنه الاستغراب ، ودلف الشيخ في الطابور ، وهو يكظم ضحكه في جذل بالغ ، وكان جذله يزداد كلما ازدادت الاصوات المنادية بالاسماء ارتفاعا ؛ وكان اطمئنانه يتضاعف كلما اقترب دوره .

انظر البقية على الصفحة 56

خواطر

للاستاذ: محمد الحلوى

في راس كل مواطن غيور على وطنه يراقب سيره باهتمام، ويتطلع الى مستقبله بانتباه، خواطر ومقترحات تتربص الفرصة لتخرج الى النور، وتتلمس مسلكا لتعلن عن نفسها، فتسهم في اسعاد البلاد ورفع مستواها الاجتماعي .

ومع الجزم بان بعض هذه الخواطر والمقترحات سيكون فجا ومائعا لم يختمر بعد، الا انها لن تخلو قطعا من اراء صائبة، ونظريات توجيهية، تلقى بعض الاضواء الكاشفة على مشاكلنا الاجتماعية، وتمثل الاحاسيس والاتجاهات العامة، التي تساعد المسؤولين على اتخاذ اوفق الحلول، واكثرها استجابة وتجاوبا مع رغبات الجمهور، ومن شان هذه الاقتراحات اذا سلكت سبيلا انشائيا متزنا، واستهدفت الحق وخير البلاد، ان تكون مظهرا من مظاهر التفكير الحر البناء، وتخلق تجاوبا بين الشعب وقادته، وتمنح الفرصة للمتنورين من شباب هذه الامة ليدلوا بآرائهم فيما يعانون من مشاكل، وما يرتئونه من حلول، ولن نخشى ابدا ان يكون في هذه الاقتراحات ما هو بعيد عن الحكمة قريب الى الخطل وسوء الراي، فان وجود هذا النوع ضروري لابداء قيمة الآراء الاخرى وتزكيتها، كما ان ظهور الصائب منها سيعمل على تقويم ما اعوج من الآراء الاخرى وتصحيحها .

واحتفظ في نفسي ككل مواطن في هذا البلد الغالي باكثر من اقتراح، امسكت طويلا عن ابدائه تهيبا من الناس، ولا عجب :

فالناس من يلق خيرا قائلون لـه
ما يشتهي ولام المخطيء الهبل

وسأبدا منها على تزاحمها، باقتراح كان لاسبابه اسوا الاثر في نفسي ونفس الذين استمعوا اليه :

1 – قانون لتحديد سن الزواج :

استمعت في احد برامج الاذاعة الوطنية الى الاخ اللجائي، في برنامجه الخاص يقص في لهجة يخنقها الاسى رسالة شاب زوجه والداه بفتاة لا تتجاوز الثامنة من عمرها، وارغماه على التزوج بها رغم مشيئته، ولما ابدى معارضته اظهرا استعدادهما لتاخير هذا الزواج الى ان تدرك الفتاة سن الزواج، وبالطبع لم يجد الشاب المنكوب عند الاخ اللجائي ولا عند المستمعين من حل غير الرثاء والرحمة لفجيعته، واستنكار عمل الابوين الوحشي الذي لا يقدم عليه حتى الزنوج .

ولكن دموع المستمع الرحيم واستنكار المذيع الكريم، كل هذا لن ينقذ الشاب الحائر، ولن ينجي امثاله من الوقوع في هذه الكارثة، ولم يطهر المجتمع من تصرفات آباء جهلة، لايقرها وضع ولا يستسيغها طبع، وانما تمليها اطماع جشعة واغراض سافلة دنيئة

ان المنقذ لهذا الشاب وامثاله من سلطة الاب الجاهلة، والمخلص للانوثة البريئة من ان تتسامى لها الشهوات الجائعة والوحوش الكاشرة، انما هو وزير العدلية الغيور، الذي يستطيع ان يحدد سنا للزواج، يتناول الرجل والمراة على السواء، ويملك ان يقضي على هذه الفوضى، التي تسبب كثيرا من المآسي والدموع، ولعل اقرب الطرق لضبط السن في هذه الحالة، هي الرجوع لسجل الحالة المدنية او اي شهادة رسمية، اما تصريحات الاولياء فينبغي ان تكون لاغية، وسيكون اجدى على الزوج كثيرا وانفى لكل تدليس، ان ترفق بازاء صورته صورة مخطوبته، ويثبتا معا بصك الزوجية .

ان مثل هذه الاجراءات ستكفينا كثيرا من المتاعب وتريحنا من عناء كبير، ونتعشم ان يكون هذا من مشمولات الاصلاحات العدلية التي نترقبها .

2 – ضريبة العزوبة :

تنتشر العزوبة بين شبابنا بصورة مهولة لا تدعو الى الارتياح .

ومهما اختلفت انظار الناس في تعليل رغبة الشباب وعزوفه عن الزواج، فان الذي لا يشك فيه احد ان هناك طائفة تستطيع ان تسميها محرومة، لان ظروفها الاقتصادية او تقاليدها العائلية، حالت دون تحقيق احلامها، فعاشت في ظلام تجتر اشواك العزوبة وتتجرع مرائرها .

انظر البقية على الصفحة 56

مشاهداتي في الحجاز

للاستاذ :
عبد الله كنون

لما تفضل جلالة الملك نصره الله بتعييني في وفد الحج الرسمي لسنة 1957 كان ذلك مفاجأة لي حقا . وان تكن مفاجأة سارة ، وليس السبب هو انني لم اكن افكر في الحج ، وهو فرض من فروض الاسلام ، ولكن لان موسم الحج كان قد اقترب ، ولم يبق له الا ايام قلائل ، اسبوع او اسبوعان ، بل اسبوع فقط ، لان الاسبوع الثاني فيه سيكون السفر ، فكيف يتأتى الاستعداد لهذه السفرة الطويلة والشاقة في مثل هذه المدة القصيرة ؟ وهناك مهمة الوفد . وما هي هذه المهمة؟ لم اجد من يشفي غليلي من امرها ، او على الاصح لم اكن على استعداد في غمرة هذه المفاجأة لاستيعاب جميع تفاصيلها .

ثم هذه ثلاثة ايام تقتطع من هذه المدة ، اذ كنا سنقابل جلالة الملك بعاصمة الرباط صبيحة يوم السبت 22 يونيه ، فاذا بجلالته يمدد اقامته بمراكش — وقد كان في زيارة رسمية لها — فيقع النداء علينا معشر اعضاء الوفد يوم الاربعاء 19 منه للمقابلة بمراكش صبيحة يوم الخميس غده .

وقد كانت مقابلة مؤثرة جدا ، زودنا فيها جلالته بنصائحه الغالية وغمرنا بعطفه السامي ، ثم كان مسك ختامها الحضور مع جلالته في زيارة قبر امير المسلمين يوسف بن تاشفين والوقوف على التصميم الذي وضع لبناء قبر مؤسس مراكش العظيم .

انه عصر المفاجآت كما يقولون وعصر السرعة ، فلنكن من ابناء عصرنا ، ولننغمر فيه ، ولنقبل على ما نحن بصدده متوكلين على الله .

وهذه مفاجأة اخرى سارة كذلك ، وهي الرفقة الطيبة ، التي لو كان لكل واحد منا راي في اختيارها ، لما اختار اوفق منها واكثر انسجاما فكريا وخلقيا ، زيادة على ما بين غالب افرادها من المودة القديمة التي لا تنفصم عراها ، وهذا ايضا عامل من عوامل التشجيع على هذه الرحلة المباركة ، وسيكون له اثر فعال في تسهيل مهمة الوفد .

وقد عدنا يوما من مراكش ، وقضينا يومي 21 و 22 يونيه في الرباط وسلا بين اتصالات كريمة باخوان اعزاء ، واتخاذ بعض الاجراءات الضرورية ، كقطع تذاكر الرجوع بالطائرة عبر الاقطار العربية التي قررنا زيارتها بعد الحج ، والتأشير على جواز السفر من طرف ممثلي البلاد التي سنمر بها ، والتزود ببعض العملات الاجنبية ، فضلا عن ترتيب حقائبنا بحسب المعلومات التي استفدناها من شركة الطيران .

وفي منتصف ليلة 23 يونيه موافق 24 ذي القعدة 1376 كنا نحلق بالطائرة فوق مطار سلا في طريقنا الى جده ، وكان المطار غاصا بالنسمات الفزيرة من اسر الحجاج التي جاءت لتوديعهم ، على انه لم يخل من بعض الشخصيات الرسمية والصديقة كوزير التاج الحاج المختار السوسي ، ووزير الاشغال العمومية السيد محمد الدويري ، ومدير التشريفات السيد الحاج احمد بناني ، والمكلف بوزارة الاوقاف السيد المكي بادو ، والاستاذ السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد بهذه الوزارة ، والسيد قاسم الزهيري مدير الاذاعة الوطنية ، والفقيه السيد الحاج محمد التطواني ، وغيرهم .

وسارت بنا الطائرة بقية الليل وصبيحة يوم الاحد حتى الساعة الثامنة بتوقيت المغرب والعاشرة بتوقيت ليبيا حيث حطت بمطار ابن غازي ... ولم نلاق في سيرنا ما يزعج ، وصلينا الصبح قياما مستقبلين ، ولكن افرادا لضيق المكان — على اننا في بقية اسفارنا في الطائرات الاخرى لم نكن نستطيع الصلاة الا جلوسا في مقاعدنا ... وذلك لان مكان الوفد في طائرة المغرب كان في المقدمة ومتسعا قليلا ، بخلافه في غيرها من الطائرات .

ونزلنا للاستراحة بمطار ابن غازي فوجدنـــا فى استقبالنا كاتب السفارة المغربية بتونس السيد عبد الرحمن غازي ، فآنسنا بحديثه وابدى مزيد الاعتناء بالوفد والحجاج كافة ، وقابلنا هناك فوج من الطلبة المغاربة الذين أنهوا دراستهم الثانوية بمعاهد ليبيا ، وابدوا لنا رغبتهم فى الرجوع الى المغرب ورؤية بلادهم مستقلة ، وقد كانوا خرجوا منها وهي ترزح تحت نير الحماية فى ايام الازمة ، فارشدناهم الى الاتصال بوزارة المعارف عن طريق سفارة تونس .

وعلى الساعة الثانية عشرة بالتوقيت الليبي ، اي بعد استراحة ساعتين تحركت بنا الطائرة فى اتجاه جدة واثناء السير احسسنا بتغير الجو واشتداد الحرارة ، ولم يكن منظر الصحراء من الطائرة الا مما يزيد النفس انقباضا ، وعند التحليق فوق القطر المصري ، كانت العمارة على ضفتي النيل تلوح لنا كخط دقيق فى وسط هذا الخضم الهائل من رمال الصحراء ... وكنا اثناء خروج الطائرة من اقليم الصحراء الى الاقاليم الجبلية او الى البحر ، نشعر بخفقات قوية من هذه التي يسمونها فى مصر (مطبات) وقد سالت عنها الدكتور منصور فهمي سكرتير المجمع اللغوي المصري ، ونحن فى ضيافة سماحة مفتي فلسطين السيد الحاج امين الحسيني ، وعرضت فى الحديث فقال انها من كلام العامة .

وبعد ان قضينا سبع ساعات ونصفا فى الجو اي بعد المغرب بقليل ، كنا ننزل فى مطار جدة ، ونتقابل مع صديقنا سفير المغرب بالحجاز الفقيه السيد محمد غازي ... وقد بذل لنا يد المساعدة هو ومساعدوه فمرت الاجراءات الجمركية وغيرها على ما يرام .. وفى تلك الاثناء كنت اتامل فى حركة المطار فارى افواجا عديدة من البشر على اختلاف الوانهم والسنتهم يتسابقون الى حيث ينجزون مع الموظفين السعوديين الاجراءات اللازمة للدخول الى المملكة العربية ، وهؤلاء الموظفون الذين يعدون بالعشرات ، ما بين شاب وكهل ومعمم ومطربش ، يقومون باعمالهم فى منتهى النظام والادب ، ورجال الشرطة مبثوثون هنا وهناك، يسهرون على الامن ويمنعون الفوضى ، وبما ان الجو كان فى غاية الحرارة ، فان بناية المطار كانت تعج بالمراوح الكهربائية لتلطيف الهواء ... **والمهم اننا لم نر اجنبيا واحدا يقوم بعمل ما فى ادارة المطار ولم نقرأ كلمة واحدة غير عربية على مكتب او لافتة .**

وركبنا على اثر ذلك السيارة الى دار السفير ، حيث نزلنا ضيوفا على سيادته ، وكانت السفارة لم تتمكن بعد من حجز غرف لنا فى احد فنادق جدة ، لانها لم تعلم بقدوم الوفد الا يوم وصوله ، وكانت جميع الفنادق حينئذ قد غصت بالنازلين فيها ، فمن المستحيل ان تلقى محلا فارغا فى فندق لنزول فرد فاحرى افراد ، **وليت شعري من المسؤول عن هذا الاهمال الذي ادى بنا الى (التثقيل) على سفيرنا الكريم ....؟**

اصبحنا يوم الاثنين 25 ذي القعدة نتجول فى شوارع جدة ، وقد زرنا السفارة ثم ذهبنا الى مصرف الهند الصيني ؛ حيث حولنا ما معنا من صكوك مالية الى اوراق مالية سعودية ، واعلى ورقة مالية سعودية تبلغ عشرة اريلة ، فليتصور الانسان اي حمل ضخم يكون عليه ان يصحبه فى كل ايام الحج ، وخصوصا اذا كان معه نصيب لا باس به من المال ، ولا يمكن ان ياخذ بذلك المال حوالات صغيرة على بعض المصارف فى مكة والمدينة ، لان هذه المصارف كما قيل — تقفل فى ايام الحج .

وبعد الفراغ من هذه الاعمال جعلنا نطوف على الفنادق علنا نجد فيها فراغا يؤوينا ... وكان زميلان لنا وجدا غرفة ثنائية فى (فندق الحرمين) فهنئنا بها ، وتناولنا طعام الغذاء فى فندق جميل يسمى (قصر قريش) وقد قضينا فى بهوه المكيف مدة انعشت نفوسنا من التعب والحر ، ولم نتركه حتى وعدنا المكلف بايجاد محلات لنا من الغد ، **ولكن الغد لم يحن حتى كنت انا واحد الرفقاء قد اصبنا بهذا الزكام الاسيوي ، او حمى الانفلونزا ، كما تسمى هناك ، واقمنا تحت العلاج بدار صديقنا السفير .**

شعرنا بان الجو فى هذه البلاد لا يطاق ، وكان من راي اكثر الرفقاء ان نتمتع بحجنا وبهذه البلاد العزيزة كل التمتع ، فجعلوا يعدلون عن هذا الراي ، وقررنا جميعا ان نقوم بواجباتنا اتم القيام وفى اقل الايام، ولذلك فقد عزمنا على تقديم الزيارة والرجوع لاداء مناسك الحج حتى اذا فرغنا منها غادرنا الحجاز فى اول فرصة .. وكان الناس يتحدثون بان الحكومة ستوقف السفر الى المدينة المنورة بعد يوم او يومين منعا للازدحام ، فكيف يتاتى لنا السفر ونحن لا نزال فى قبضة المرض ، وقد اصيب منا رفيق ثالث ايضا ! ومع ذلك فامامنا مقابلة جلالة الملك سعود وتقديم رسالة الاعتماد اليه ؟..

ان الامور فى بعض الظروف لا تسير على احسن منوال الا عند ما تتأزم الحال ، وهكذا فمن كان يدري اننا نقدم طلب المقابلة مع جلالة الملك سعود الذي لم يكن فى جدة يومئذ فياتي غدا ؛ وينعم بمقابلتنا بعد غد ، اعني يوم الاربعاء 26 يونيه — 27 ذي القعدة ... ولا

يأتي اليوم الموعود حتى نكون قد شفينا من المرض والحمد لله، واخذنا اهبتنا للمقابلة الملكية التي كانت في قصر جدة على الساعة الحادية عشرة بتوقيتنا، ولا تسألني عن التوقيت المحلي فاني من عشاق البساطة ولا احب التعقيد.

وقصر جدة قصر فخم يقع وسط حديقة واسعة وبالتعبير المغربي، وسط رياض فسيحة (والرياض جمع لا مفرد) وهو مسور بسور لطيف، والطرق اليه وسط الرياض، ممهدة احسن تمهيد، وقد نصبت عليها عرائش ما زالت لم تستتم نباتها، وخللت بالمصابيح الكهربائية القوية، التي تجعل منظره بالليل بديعا للغاية. وقد رايناه من الطائرة في ذهابنا الى المدينة وايابنا منها فكان قيد الانظار، اما بناؤه فهو على الطراز التركي في هذه المدرجات الطويلة، وهذه البوابات العظيمة، وهذه القبب الضاربة في الهواء، وهذه البلاطات الفسيحة، فاذا صرت بداخله رايت من الاعمدة الرخامية، والعقود المزخرفة، والثريات العظيمة والزرابي الكبيرة، ما يتناسب وعظمة الخارج، وقيل لنا ان هذا القصر هو من بناء الملك سعود نفسه، وكذلك جميع القصور التي يسكنها في انحاء مملكته الشاسعة الاطراف؛ هي من بنائه، وقد عوض بها القصور التي كان يسكن فيها والده المرحوم، والتي تنازل عنها جميعا لوزارة التعليم فجعلت منها معاهد علمية لابناء رعيته.

وعلى كل حال فقد دخلنا هذا القصر العظيم، وقادنا رئيس التشريفات الى قاعة الانتظار الفسيحة التي لقينا فيها بعض الوجهاء السعوديين، وسفير الصين الوطنية. والقاعة مفروشة بزربية حمراء، وبكراسي وارائك فخمة من ذات اللون المخمل الاحمر ايضا، وهي مكيفة الهواء بحيث يخيل اليك انك بالمغرب في ايام الربيع... وجاء الاذن بالدخول الى المحل الذي يوجد فيه جلالة الملك، فاذا هو قاعة اعظم واعظم بكثير مما وصفنا، وقد جلس جلالته في صدرها على كرسي فخم، واصطف على جانبها الحرس السعودي ببنادقهم والاضواء تنبعث من مصابيح الثريات الفاخرة فتزيد المنظر بهجة، **وقد سرنا من بابها اليه نحو العشرين خطوة، فاذا به يقف ويصافحنا واحدا بعد واحد، ويجلسنا عن يمينه ويساره، ويرحب بنا احسن ترحيب فنقدم اليه رسالة جلالة مولانا الملك، ونبلغه تحياته وعواطفه نحوه، فيسالنا عن جلالته ويثني عاطر الثناء عليه، ويذكر زيارته للمغرب وما قوبل به من حفاوة بالغة، ويسالنا عما كان يقال من عزم جلالة الملك على الحج هذه السنة، فنقول: انها امنية جلالته التي لا يلبث ان يحققها حالما تحين الفرصة لذلك، فيجيب بانه يكون مسرورا غاية السرور باستقبال جلالة محمد الخامس في هذه البلاد المقدسة، وانه يضع يخته وطائرته الملكيين تحت تصرف جلالته، وشكرنا جلالته على هذه العناية الكريمة وقدمت لنا القهوة والمبردات وانصرفنا مودعين بما قوبلنا به من حفاوة واكرام.**

لقد قضينا في جدة ليلتنا الكبرى، فخرجنا نطوف على اسواقها وشوارعها، واياك، يا قارئي العزيز ان تظن ان ذلك ممكن بالنهار في غير السيارة لشدة الحر، وقد ذهب بعض الاصدقاء لزيارة قبر امنا (حواء) عليها السلام فلا ندري كيف وصل اليه.

والذي يلفت النظر في جدة هذه الحركة الدائبة في البناء والتعمير، فكم من دور شاهقة — والدور في جدة على الطراز الهندي تتكون من عدة طبقات — نراها تتهدم لان شارعا جديدا يخترقها، وكم من بنايات جديدة على الطراز العصري تقام هنا وهناك... ومن جملتها الفندق الجديد الذي يعد افخم فندق بجدة الآن، والذي دشنه الملك سعود في ايام الحج... والشوارع الجديدة معبدة على احدث اسلوب، وقد غرست الاشجار بجانبيها وان كانت ما زالت لم تكبر وتترعرع، وقد قيل لنا انه قبل سنتين فقط كان من المستحيل ان ترى نبتة او شجرة هنا، والسبب في ذلك قلة الماء بجدة، اذ كان ماء الشرب فيها انما يستقطر من ماء البحر، والآن، لما جرت الحكومة الماء الى المدينة من هذه العين التي تسمى عين فاطمة، دبت الحياة في جدة فنشطت حركة البناء والغرس، فكثيرا ما ترى حدائق (فيلات) انيقة يداعب النسيم اشجارها، وينقل عبير ازهارها، وسوف لا يمر زمن طويل حتى يتلطف جو جدة ويعتدل هواؤها، بما ينشأ فيها وسينبت من رياض ومنتزهات جميلة، وصدق الله العظيم حين يقول: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)

في حقل التربية الدينية

للأستاذ: عبد الرحمان الشتمي

لا اعدو الواقع اذا قلت ان اطفالنا ينشأون نشأة يكون ضعف العاطفة الدينية ابرز مظهر من مظاهرها وقد يتوهم البعض ان ذلك لا خطر له ما دام اطفالنا يتدينون بدين الاسلام بالفطرة والنشأة وما دامت الشرائع السماوية لا تطلب منهم تكاليف واقامة شعائر ايام الطفولة الاولى .

ولكنه غير خاف ان الطفل اذا شب غير متغذ بالروح الدينية منذ نعومة اظفاره صعب تقويمه ايام الشباب واستحال صبغه اذ ذاك بصبغة دينية تكيف ميوله واهواءه واقواله واعماله حسب قوانين الشرع الحكيم وما تامر به وما تنهى عنه ، لقد تعودنا ان نعلم اطفالنا مبادىء الدين وكيفية الوضوء والصلاة ، ولكن هل يحق لنا ان نتساءل قبل أن نحشو جماجم الاطفال بفرائض الوضوء ومكروهاته وسننه ومبطلاته ، وقبل ان نامرهم بالركوع والسجود والقيام والقعود ، قبل كل هذا الا يحق لنا ان نتصور كيف يفهم الطفل مغزى كل هذا ، وكيف لا يسأم هذا الركوع والسجود والقيام والقعود الذي لا يفقه له معنى والذي لا يدري لماذا ياتيه ؟ نعم قد لا يعزب عن بالنا ان نوضح للاطفال ان الصلاة ركن عظيم من اركان الدين ، من ضيعها فهو لما سواها اضيع وانها تميز المسلم من غيره ، الى آخر فضائلها ، ولكن هذا غير كاف والواقع ان الطفل احوج في طفولته الى تكوين ديني صحيح أكثر من احتياجه الى تعلم فرائض الوضوء والصلاة ومكروهاتهما ومستحباتهما وما يتعلق بذلك من تفصيلات وتاويلات ، اذ لا فائدة تجنى من وراء ذلك ، ولا قيمة لاشكال الواجبات الدينية ما دامت بذور العاطفة الدينية لم تغرس في الطفولة الناشئة باسلوب سيكولوجي ، وطريقة بداغوجية ناجعة ، وهنا يحق لي ان اتساءل عن منهاجنا الديني واسلوبه في تربية الناشئة تربية دينية صادقة ، لنضع هذا المنهاج اذن على محك الاختبار ، لنرى الى اي مدى بلغ اهمال التربية الدينية في نفوس المكلفين بادارة التعليم السابقة ، هذا المنهاج الذي لا يزال مفروضا على ابنائنا وبناتنا الى اليوم مع الاسف الشديد رغم انه لا يتناسب وكرامة الدين الحنيف واهداف التربية الدينية ، ورغم كونه ايضا يتنافى على طول الخط مع ابسط اساليب التربية والتعليم ، انه يحتوي على القرآن والتوحيد والاخلاق والدين .

ومن العجيب ان يوزع المنهاج مادة القرآن الكريم بنسبة متساوية بين جميع الاقسام لافرق فيها بين صغير وكبير ، كأن التعليم عملية عسكرية ، لا عملية ذهنية ، تستند على قابليات عقلية محدودة ، وامكانيات نفسية ، وطاقات فكرية ، ينبغي حصرها ومعرفة كيفية تنميتها بحكمة وخبرة وتعقل ورشاد .

ومن الكلام المعاد ان نقول ان تخصيص حزبين لكل قسم امر لا يمكن تحقيقه ، وان الشرح المطلوب في القسمين المتوسطين لا يحقق اهداف التربية الدينية ، لان جل الآيات تتضمن افكارا وعقائد وتعاليم فوق مستوى التلاميذ في الاقسام الابتدائية ، وباختصار فان المنهاج المقرر والاساليب المتبعة في تعليم القرآن يجب ان تقلب راسا على عقب، وسابين الطريقة التي ينبغي السير على منوالها في تعليم القرآن الكريم وفي التربية الدينية في ختام الحديث.

ونعود الى النقطة الثانية وهي التوحيد : يوصي المنهاج بان تكون الدروس في الفصول الصغيرة على شكل محفوظات تهذيبية .

ولا يفوته ان ينبه الى ضرورة لفت انظار التلاميذ الى جهنم ، التي خلقت لتعذيب المسيء ، فهل يتصور واضعوا المنهاج ان الطفل الصغير يمكنه ان يفهم معنى العقاب والثواب ، وان يتخيل تلك النار الملتهبة التي اعدت للكافرين ، واذا ما امكنه ان يتخيلها الا يمكن ان يتوهم فكرة الشر والانتقام وان ترسخ في ذهنه الصغير صورة مشوهة عن الاله الرحيم الجميل ؟

اما في القسم الابتدائي الاول ، فان المعلم مكلف من طرف المنهاج بتلقين الطفل حديث جبريل ... فما علاقة طفل القسم الابتدائي الاول بجبريل وحديثه ، انها سخرية بعقول طفولتنا الناشئة واستهزاء باصول التربية والتعليم وهكذا يتدرج المنهاج حتى يصل الى قسم الشهادة حيث يؤمر المعلم بتدريس علم التوحيد واقسام الحكم العقلي وغيره من المباحث العقلية التي يستعصي فهمها على الطلاب في الجامعات العلمية والكليات الدينية.

ونعود الى النقطة الثالثة من المنهاج وهي الدين : ويهدف المنهاج حسب ما سطر في النصائح والارشادات

الى تدريب الطفل على الفقه العملي ، وتفقيهه فى مبادىء علم الدين بكيفية عامة ، وما يهم العبادات بكيفية خاصة، ويحق لي ان اتساءل : كيف يمكن للمعلم ان يشرح للتلاميذ نواقض الوضوء فى القسم الابتدائي الثاني اذا سار حسب توزيع المنهاج وكيف يوضح لهم الطاف المراة ومس الذكر ، وخروج المني بلذة معتادة ، وصلاة القصر وشروط ما يستجمر به .

وكيف يفسر لهم فى القسم المتوسط الاول الاعتكاف ومحله وايامه ومبطلاته ومباحاته ، وماذا سيجنون من معرفة هذا الركن الهام فى عصر الامتزاج والسرعة والاستكشاف ، وفى القسم المتوسط الاول كيف يبين المعلم للتلاميذ الذبح والنحر والعقر والحيوان المعلم وزكاة ما ليس له نفس سائلة وما يباح من الطعام والشراب ، وما يكره وما يباح للمضطر الى غير ذلك من المعلومات التي جمعت جمعا وحشرت حشرا بدون روية او تفكير ، لنضرب صفحا عن كل ذلك ، ولنبدا من جديد فى وضع منهاج قويم للتربية الدينية، يتناسب ونبل اهداف ديننا الحنيف ومقاصده السامية .

ان التربية الدينية الحقة تكون منهاجا متحدا لا يفرق بين مادة واخرى وانما يهدف لخلق الروح الدينية وتعهدها والاستفادة منها فى تقويم المجتمع واصلاح الفرد والامة .

اريد اليوم ان احدث القراء الكرام عن وسائل التربية الدينية الصحيحة وقد استعنت فى هذا البحث بآراء صائبة لمربين افذاذ ، وابحاث قيمة لطائفة من علماء الدين الابرار ، وقبل ان ادخل فى صلب الموضوع اريد ان القي نظرة عاجلة حول اسباب ضعف التربية الدينية عندنا لانني متيقن ان كل اصلاح لا يمس وضعيتنا الجوهرية يكون عقيما عديم الجدوى .

ان تقهقر التربية الدينية عندنا راجع الى اسباب اجتماعية وسياسية يمكن تقسيمها حسب الشكل الآتي :

1) العوائد العتيقة :

لقد ظل المغرب منذ عهد بعيد بمعزل عن كل تطور روحي ، فتسبب هذا الانعزال فى توطيد كيان العوائد والخرافات ، وتسلط الاوهام على العقول ، حتى اختلطت العوائد والتبس امرها على الناس فصاروا يعدونها بمثابة تشريعات دينية ، لها حرمتها وقداستها، ومما زاد الطين بلة هو تقمص كثير من المشعوذين ازاء المرشدين الدينيين ، فاتخذوا من الدين طلاء لظفرهم السام ، وساعدهم على التضليل جهل الشعب المسكين وبساطة ايمانه .

2) الاستعمار :

لقد عرف الاستعمار ان اخطر سلاح يمكن الامة المغربية من استقلالها هو تمسكها بروح تعاليم دينها الحنيف فعمد الى تضليل الناس وشجع المشعوذين ومد لهم فى حبل الكذب والغش والتدليس ، وسعى لبث سموم المدنية الغربية واوحالها ، فى صفوف المثقفين ليشبوا على الزندقة والالحاد وذلك بجميع مختلف وسائل الاغراء ، وهكذا تمكن من استعمار كياننا الثقافي وخنق جميع الانفاس التي يشم منها دعوة الى الدين الصحيح .

3) عقم المناهج التي تتصل بالتربية الدينية ، وركاكة الاساليب المتبعة فى التعليم الديني ، ونظرة واحدة على الكتب المقررة للتربية الدينية فى جامعة القرويين تكفي للدلالة على تاخرنا وتقهقرنا فى هذا الميدان الحيوي .

4) اتصالنا بالحياة الاروبية فى ظروف كان المغرب يعيش اثناءها فى انحلال اجتماعي وانحطاط معنوي ، فلم يكن من اليسير على امتنا ان تقاوم بضاعة الاستهتار ودعوة الفسوق والاغراء ، من مواخير واوكار للبغاء ، الى صالات للرقص والغناء ، وافلام هي مثال للخلاعة والمجون وللرذيلة كما هو معلوم بريقها الذي يخطف الابصار ومغرياتها التي تعمي القلوب والانظار . قال جل علاه (انها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي فى الصدور) .

هذه نظرة خاطفة عن بعض اسباب تاخر التربية الدينية عندنا ، ورغم اقتضابها فمن اليسير ان نستخلص منها ان المنهاج الذي نريد ان نضعه لتربية ابنائنا تربية دينية صالحة ، والاساليب التي نود رسمها لتحقيق هذه الغاية السامية ، لا يمكن ان تؤتي اكلها اذا لم يشمل الاصلاح جميع مرافقنا الحيوية ، ويتناول بالخصوص القيم المعنوية ، لان الوعي الديني الصحيح هو اساس التربية الدينية الصالحة . ولننتقل الى دراسة الاصلاحات التي ينبغي ان نقوم بها لبناء منهاج ديني ناجح ، ويجب ان ننبه الى ان التربية الدينية التي تعتمد على المعرفة والتحصيل فقط قد تخلق لنا علماء فى الدين ، ولكنها لا تخلق لنا اشخاصا مهذبين ، انه من الخطورة بمكان ان نعلم الدين على انه مجرد مادة دراسية ، لها منهاج محدد ، وموضوعات خاصة . وكتاب مقرر ، فالدين اكرم من ان يعامل تلك المعاملة ، وهو اشد التصاقا بطبيعة الاطفال واعمق اثرا فى حياتهم ؛ وهو اسمى من ان نعلمه فى مدارسنا على انه تمرين عقلي ، او موضوعات متفرقة فى الوعظ والارشاد ، لان حقيقة الدين هي التوجيه الاجتماعي ، والتنظيم السليم للحياة ، فالدين ينبغي اعتباره قبل

كل شيء دستورا للحياة ، بل هو حياة تمارس ، ومبادىء يقاس على هديها ، وكلما كانت التربية الدينية متصلة بما في حياة الطفل من احداث ، كان ذلك ادعى الى فهمها وادراك الحكمة التي تنطوي عليها ، وبالتالي ادعى الى اعتناقها والايمان بها ، وبذلك يخرج الدين من نطاق حصة تافهة ، الى اسلوب حياة ينتظم الوطن كله ، والحكومة ، والشارع ، والمنزل ، والمدرسة . وباختصار فانه زيادة على منهاج ديني قويم تقوم دعائمه على النحو الآتي :

1) نصوص مختارة من القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة لمستوى الاطفال الفكري .

2) نبذ من سير الخلفاء الراشدين وجلة الصحابة والتابعين والمصلحين والزعماء والمرشدين .

3) موضوعات تهذيبية عامة تحتوي على قصص ومواعظ خلقية واجتماعية .

4) مقتطفات تتناول بطرق واساليب عملية ما يتناسب ومدارك الاطفال من عبادات وشرائع دينية وتبسيطها وتنسيقها على شكل احاديث مسلية او محاورات لطيفة او قصص مشوقة .

يجب زيادة على مثل هذا المنهاج تكوين وعي ديني صحيح ، يتناول جميع مرافق الحياة ، وهناك بعض المعاهد الاجنبية تبدا يومها الدراسي باجتماع ديني عام.

فاذا عرفنا كيف نتيح لتلاميذنا فرصا طبيعية لتقوية الوعي الديني في نفوسهم ، فاننا نقيم دعائم مجتمع قوي سليم ، ولن تعوزنا الوسائل والاساليب للوصول الى هذه الغاية النبيلة ، ففي مستطاعنا ان نخصص حجرة في كل مدرسة للقيام باداء الشعائر الدينية ، وان نزود هذه الحجرة بمكتبة دينية رشيدة، وبالخصوص يجب ان نحرص على اداء ما يتاح لنا من الفرائض الدينية صحبة تلاميذنا ونكون لهم خير مثال وقدوة .

ومن اليسير ان نعقد في مصلى المدرسة مجالس قصيرة — بين فترة واخرى — للوعظ والارشاد والمناقشة في بعض امور الدين ، على ضوء ما يحدث للاطفال من مشكلات نستشهد اثناءها بالنصوص القرآنية المناسبة ، ونربي التلاميذ على اعتبار الدين وسيلة من وسائل الاصلاح ، وانه قانون اجتماعي سمح لا قيد منفر .

ولا ينبغي ان ننسى ، ان الجو المدرسي من اقوى العوامل على نجاح التربية الدينية وغرس بذورها في نفوس التلاميذ ، فالحرص على رد كتاب مستعار امانة، والسؤال عن صديق مريض وفاء ، واحترام المائدة وما عليها قناعة ، وقول الحق في كل مناسبة شجاعة ، واحترام الاساتذة بر ، واداء الواجب اخلاص ، ومراعاة حقوق الاصدقاء نبل ، وهكذا علينا ان نشجع التلاميذ وتعينهم على انشاء هيئات تتولى الاشراف على الاحتفال بالمواسم الدينية والاعياد الاسلامية .

والقيام باعمال الخير في الجمعيات الخيرية والمستشفيات ومواساة الضعفاء والمحرومين ، بمثل هذه الاتجاهات يتكون الوعي الديني الصادق في نفوس الاطفال ، ويتجه الاتجاه الصحيح النافع في الحياة .

ويسعدني ان اختم هذا الحديث بتوجيه سديد للدكتور قدري لطفي حول اسلوب تكوين الوعي الديني في نفوس الاطفال الصغار ، وذلك لشدة عنايتي بطفولتنا الناشئة وحبي الابوي لها يقول جناب الدكتور : (يبدا الدين مراحله الاولى عند الطفل ، وتتمثل مبادؤه في مشاعر الرهبة والاحترام والاعجاب بكل ما هو جميل او غريب في البيئة ، سواء اكان ذلك في مظاهر الطبيعة، من سماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم وسحاب ، ومن ارض وما فيها من ازهار وانهار وطيور وحيوان ، ام كان ذلك في علاقة الطفل بغيره من الناس ، وما تنطوي عليه من عطف وحنان ، وحب وايثار ، ومن هنا تبدا التربية الدينية باتاحة الفرص امامهم ليروا عجائب الحياة ومظاهر البيئة، بمشاهدة صغار الحيوان، وملاحظة حركاتها ومراقبة اطوار نموها ، وبمشاهدة صغار الطير وهي تحاول الطيران وتتلقى طعامها من مناقير امهاتها ، وبلفت انظارهم الى نقاء الهواء الذي يستنشقونه ، واشعة الشمس التي يستقبلونها ، وحلاوة الماء التي يستطيبونها ، كل هذه الاشياء وان لم تكن من تعاليم الدين واصوله ، نستطيع اذا احسنا توجيه انظار الاطفال اليها ، ان نخطو بهم خطوات واسعة نحو ادراك القوة الالهية ، وعظمة الخالق ، والاحساس بوجود الله الذي يرانا ولا نراه وتسيير الكون في نظام بديع ، وتنسيق عجيب ، وفي توجيه الاطفال الى ملاحظة المظاهر الطبيعية للاجابة عن كثير من الاسئلة التي يحاول بها الاطفال وضع الاسس الاولى لمعتقداتهم الدينية ، والتعليل لما يرونه من مظاهر الخلق، وظواهر الكون كتقريب فكرة الاله الى الطفل الصغير بتشبيهه بالهواء الذي نحسه ولا نراه ، وفكرة الجنة بتشبيهها بالحدائق وما فيها من اعناب ونخل وماء وزهر، وفكرة الموت بما يعتري الزهرة من ذبول وسقوط لكن ينبغي تجنب الخوض مع صغار الاطفال فيما اعده الله من صنوف العذاب وما تتصف به جهنم من فظائع الحريق . . . لان ذلك يشيع الرعب في نفوسهم ، فضلا عما يثيره من شك وقلق مبعثهما العجب البريء من ان يشعل الله هذه النار المحرقة ويقضي بهذا العذاب الاليم وهو (الاله الجميل الرحيم) .

يحيى بن يوسف

تابع للصفحة 48

عرف انه مقدم على عمل خطير ، ولكن طرافته والاثر الذي سوف يتركه ، ودقة احكام خطته هونت من كل خطورة وماذا عساهم فاعلون ؟ انهم لن يستطيعوا بقضهم وقضيضهم ان يحرموه من اكثر من اسابيع او شهور ، هي كل ما بقيت له في الحياة على وجه اليقين .

وتمكن في آخر الامر من ان يسيطر على الضحك ويصطنع الجد والتأثر ، ويبالغ في اظهار الضعف والوهن والانهيار ، ولكنه لم يتمكن من ذلك الا قبل ان ياتيه دوره مباشرة .

تقدم الى الحارس مطاطىء الراس ، ذابل العينين واهن الاطراف ، وهو يتوكأ على عصاه في جهد ، ثم رفع راسه اليه واخذ يضيق ما بين عينيه الجرداوين ناظراً الى وجه الحارس ، كأنه يتامله دون ان ينبس ، فساد الناس الوجوم واخذوا يترقبون تصرفات الشيخ .

قال الحارس : ما اسم السجين الذي تطلبه ؟

فقال الشيخ بصوت شديد البطء وهو يفتعل ضعف الذاكرة .

اسم الشخص الذي اطلبه نعم . ما اسمه ؟

— اسرع ايها الشيخ فان الوقت يضيق .

وهنا امتعض الشيخ كأنه يستهجن نسيانه ، ثم اشرق وجهه بغتة كأنه تذكره واردف ... تذكرت يا ولدي .. اسمه ... يحيى بن يوسف .

— لم اسمعك ، ما اسمه ؟

— يحيى بن يوسف ... يحيى بن يوسف ... يا ولدي .

فرفع الحارس الاول صوته باعلى ما يستطيع ، كما لو كان ينتقم بذلك من ضعف صوت الشيخ : يحيى بن يوسف .

وردد الثاني : يحيى بن يوسف .

وردد الثالث : يحيى بن يوسف .

وهنا شده حراس السجن ، اذ لم يخرج من الصفوف السيد يحيى بن يوسف هذا ، وانما خرج منها شيء آخر اشبه بالرعد ، وهو صوت المساجين وهم يرددون على اثر صوت الحارس الثالث : يحيى ابن يوسف .

فردد الزوار برعد مماثل (يحيى ابن يوسف) .

وتعالت الاصوات من كل مكان (يحيى ابن يوسف)

فبهت الحراس دون ان يعرفوا ما يجب عليهم ان يفعلوه

اما الشيخ ، فقد استغل الفوضى التي سادت الجموع على اثر تردد هذا النداء العظيم ، فتسلل وهو يعتمد على عصاه الطويلة ، ودب دبيبا الى المدينة ، وكان يتوقف من آن لاخر ليرسل نفسه على سجيتها ، فينفجر بضحك لم يتمتع بمثله صدره منذ زمن بعيد .



خواطر

تابع للصفحة 49

والخطب في هذه الطائفة يسير لا يلبث ان ينفرج بانفراج ضائقتهم ، فتبتسم لهم الايام بسمة الرضى وتزف لهم اطيب الاماني .

ولكن الجانب الذي تتمثل فيه العزوبة بما فيها من اضرار اجتماعية وآفات خلقية ، انما هو هذا الشباب الناعم المترف المدلل ، هؤلاء الطلقاء الذين يستمرئون عيشة الانعتاق ، ويأبون ان ينتظموا في سلك الحياة الطاهرة ليجروا ملء انفاسهم وراء كل لذة ، ويطيروا خلف كل متعة ، ويقطعوا اعمارهم ليالي حمراء .

ان خطر هؤلاء ليس اقل فتكا من السرطان وتهديما للمجتمع ، ولكنه اسهل منه علاجا وايسر استئصالا ، اذ انهم من الشهرة والشفوف بحيث لا يحوجونك الى بحث او سؤال .

ولست اريد ان نرغم هؤلاء على ان يتزوجوا وهم يريدون ان يعيشوا على ظهر المجتمع عزابا متجولين ، ولكني ارى ان تفرض على امثال هؤلاء ضريبة عن عزوبتهم وانانيتهم ، فهم اثرياء موسرون ، لن يضرهم ان يسددوا هذه الذعيرة لقاء ما يكرعون من ملاذ ، ويغرقون فيه انفسهم من متع ، ولتعط هذه المغارم تعويضات لهؤلاء الذين رضوا ان يرتبطوا برباط الزوجية المقدس صابرين كادحين ، وبذلك يكسب ذوو الحاجة من المتزوجين موردا من الرزق لا ينضب معينه .

ولا خوف على حكومتنا ان ترى شاذة او مبتدعة اذا اخذت بهذا الاقتراح وتولت تنفيذه ، فقبلنا سنت حكومة الارجنتين قانونا يحتم خصم اجر يوم من مرتب كل اعزب جاوز 25 سنة ، مهما يكن عمله او ظروفه ، وتولت انفاق الحاصل على الاسر الكبيرة المحتاجة .

فحبذا لو فعلت حكومتنا مثل هذا . اذن لاستفاد كثير من الاسر الفقيرة ، ولقل عدد العزاب وانخفضت كمية الاوانس العوانس

قصة تاريخية

ألف رجل

للاستاذ : العزبي العراوي

الصحراء المغربية فى حركة دائبة ونشاط غير معتاد ، فالقوافل تملأ الطرق وتخترق البيداء ، جمال ونوق خفاف قد التصقت جلودهم السمراء بعظامهم الصلبة واعصابهم القوية ، وكانها حبال من حديد .

تنظر ، فلا ترى وجوها ، وانما ترى اجساما مشدوقة عليها اردية زرق ، واخرى بيض ، قد دبت الزرقة اليها لكثرة احتكاكها بالاردية الزرقاء ، ومن هذه الاجسام تطل عيون سوداء شديدة اللمعان .

ان سكان الصحراء يتجمعون اليوم احتفاء باميرهم يحيى، الذي رجع من الحجاز، وان هذه الفرصة لا تتاح فى السنة الا مرة واحدة ، يضاف اليها هذا العام خبر اخترق كل الانحاء واقتبله الناس بالرضى تارة وبالحذر تارة اخرى . ذلك ان اميرهم قد اصطحب معه شابا فى مقتبل العمر ، قد كرع ينابيع العلم المتدفقة، وارتوى بتعاليم الدين . وهو اليوم يريد ان ينشر هذه التعاليم فى ارجاء الصحراء الشاسعة الاطراف ، الرابضة بين بلاد البربر فى الشمال وبلاد السودان فى الجنوب .

ولكن ماذا عسى ان تكون هذه التعاليم ؟ انهم يعرفون ان الاسلام ان يقولوا : لا اله الا الله ، محمد رسول الله . ولا شيء اكثر من هذا ، فماذا يريد ان يعلمهم هذا الشاب الذي ورد من الشمال بصحبة الامير الجليل ؟ هل سيعلمهم كيف يتغنون بكلمة الشهادة ؟ انهم لا يحتاجون لمن يعلمهم هذا ايضا ، فكم صدحوا بها رافعين عقيرتهم يحدون ابلهم لتروح الى مضاربهم او يقطعون بها طريقهم التي تطول وتطول ، وقد اشتبهت اجزاؤها والتبس اولها باخرها فلولاظلهم الممدود على الارض لما علموا هل هم فى اول الطريق او فى مؤخرها . وان كلمة الشهادة لتشق عواطف الرمال وقد اخذ الرعاة يتغنون بها ويقطعون سحابة نهارهم الطويل متنقلين بين الواحات الصراوية الغنية بالاعشاب

وهكذا كثر تساؤلهم عن مهمة هذا الشاب الوارد بصحبة الامير . ولكن عليهم ان ينتظروا الايام الثلاثة الباقية لوصولهم .

وصلت القوافل تباعا ، وضربت خيامها حول قصر الامير واكتست الرمال الحمراء بالكتل البشرية ، فلم يعد الناظر يرى الا زرقة فى الارض وزرقة فى السماء ويحسب الغريب انه امام جماعات من النساء اسدلت كل واحدة لثامها على سمرتها ، وبقيت العيون شاردة فيما حولها متفحصة ما تراه .

وحل الموكب المنتظر ، فاستقبله الناس بالبهجة ضاربين فى دفوف كبيرة مستديرة ، راقصين على نغماتها المجوحة ، واكرموا الفقيه الشاب ضيف اميرهم ومدوا السماط ووضعوا عليه الطعام . لكن الشاب لا يكاد يمد يديه الا قليلا، والا عند ما يلح عليه الحاضرون، فهو بالاضافة الى انه قليل الاكل لم يجد على المائدة ما اعتاد ان يجده فى بلاده ، فلا خبز لانهم لا يعرفون حرثا، ولا فاكهة لانهم لا يعرفون غرسا ، وانما هناك لحوم الجمال لم يتم نضجها ، واواني طينية ملئت بلبن النوق

ومضت ايام الاحتفال فانقلب فرح الناس بعبد الله بن ياسين الى تذمر منه ، ومن رغبة فيه الى رغبة عنه ، ذلك ان تعاليمه التي حملها اليهم كانت قاسية ، وان افكاره فيهم كانت شاذة ، وان اوامره لهم كانت لا تطاق ، ولا يمكن ان يتحملها شعب عاش فى الصحراء طليقا ورضع الحرية مع البان عذبة دافئة .

ان الرجل منهم يتزوج ما شاء من النساء ، فهو يتردد بينهن مستمتعا متسلطا ، فكيف يستطيع ان يقتصر على اربع نسوة لاتشبع نهمه للتحكم والسيطرة. وانه ياكل ما شاء ومتى شاء، فكيف يقلع عن الاكل طول النهار خلال شهر كامل ؟ وكيف يترك اللبن يدب اليه الفساد بحرارة الجو وبه ظمأ شديد اليه ؟ كيف يستطيعون كذلك اعطاءه من نوقهم فى كل سنة عددا يقدره هو ، وهم الذين تعهدوها ونموها الى ان كثرت ونما قطيعها .

وتذمر عبد الله من نفورهم من تعاليم الدين وهو الامين عليه والحريص على نشره ، فعزم على الرحيل عنهم الى بلاد السودان ليكرر المحاولة مع امم اخرى ، علها تكون اقرب الى الايمان واكثر استعدادا لقبوله ، وكذلك تذمر الامير معه من جحود قومه . واخيرا اتفق الاثنان على الرحيل لا الى السودان ، ولكن الى جزيرة نائية ، واعتزال الناس وعبادة الله هناك، وارتحلا يرافقهما سبعة من المومنين والتجآ الى جزيرة وسط النهر الكبير .

انها جنة صغيرة يحيط بها النهر من جوانبها ، ويستطيع الزائر عبره على الاقدام صيفا ، اما في الشتاء فهو محتاج لكي يعبره الى زورق يشق امواجه الراقصة بين الشواطىء المتباعدة ، وهناك بنوا منازلهم ، كما اسسوا مسجدا للعبادة بين اشجار البرية التي تمدهم بفواكهها ، وجعلوا شطر يومهم للصيد لكي يقووا به على عبادة الله التي جعلوا لها الشطر الثاني .

ومضى الزمان عليهم هناك وجمعهم ينمو، وعددهم يزداد ينضم اليهم كل من خاف عقاب ربه ، او رغب في جنته، ويلتجىء الى جزيرتهم كل من اطمان قلبه للايمان وعبد الله بن ياسين مع هذا يعلمهم القرآن ويزرع في نفوسهم بذور الخير ، ويشوقهم الى الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين ، فانطوت قلوبهم على حبه ، ووطنوا العزم على اتباعه وعلى طاعته ، ولو خاض بهم لجج البحر الخضم .

واخيرا اكتمل الجمع الفا... الف رجل كامل الايمان مستعد للتبشير به بين الناس ، يبذل روحه رخيصة في سبيل نصرة مبدئه ، وقام عبد الله يخطب فيهم : معشر المرابطين انكم اليوم جمع كثير نحو الف رجل ولن يغلب الف من قلة .

وكان عبد الله يعلم ان هذا الالف يمكن ان يغلب ، وانه يستطيع ان يطهر البلاد من الشرك ومن التفرقة ايضا ، حيث كانت كل جهة من البلاد تحكمها شرذمة استقلت بالسيطرة على ما يقع تحت يدها ، ولكن عليه مع هذا ان يدعو الناس بالحجة قبل ان يدعوهم بالسيف، وهكذا راينا رجاله ينبثون في الآفاق داعين للايمان بالله والعمل بشريعته ، ثم خرج بنفسه يبشر بتعاليمه في الاصقاع ، فلم يجد الا اعراضا ، ولم يلق اذنا تسمع ولا قلبا يعي ، وعاد الى جزيرته التي اخذت تعج عجيجا برجال اشداء ، ينتظرون الامر لكي ينطلقوا من عرينهم وينقضوا على من خالفهم ، وخرج عن اوامر دينهم .

الله اكبر الله اكبر ، هذا صوت قوي ينفذ الى الاعماق ويحرك عواطفها الكامنة ، صوت عذب يذكر سامعيه بمذهبهم الجديد ، الذي غرسه امامهم في النفوس ، فاندفعت عاملة على نشره في الآفاق .

ولما كان نور الفجر يتسرب الى الاكواخ من خلال الكوى المتفتحة في جوانبها ، كان الف رجل يتسربون من جزيرتهم لينقضوا على القبائل المجاورة التي تملأ بسيط الصحراء الكبرى ، بينما كان امامهم عبد الله يصيح فيهم بصوت يعمره الايمان : قد ابلغنا في الحجة وانذرنا واعذرنا ، وقد وجب علينا الان جهادهم فاغزوهم على بركة الله ، فتدفق الف رجل على العالم تدفق امواج المحيط وغمروه .

وارتفع الستار اخيرا، فراينا المبادىء التي غرسها الفقيه عبد الله ، قد نمت وكانت ثمارها اقطارا كثيرة اتحدت تحت لواء المتربع على العرش في مدينة مراكش.

وعاد المؤذن من جديد الى نشيده المعهود : الله اكبر الله اكبر ، ولم يكن المؤذن هذه المرة في تلك الجزيرة النائية مهد الحركة المرابطية ، ولم يكن كذلك في الصحراء بين الاعاصير والرمال بل كان هذه المرة في بلاد الخصب والحياة ، كان على قمة جبل في بلاد زعير بقرية (كريفلة) وكان في مسجد بني على قبر يضم رفات عبد الله بن ياسين ، الذي استشهد خلال جهاده المقدس مع (انبياء) برغواطة .

هذا هو الشاب الذي ترك اهله واصدقاءه في بلدة نفيس التي كانت قائمة في احواز مراكش ، ودخل الى الصحراء وحيدا ليصنع من رجالها جنودا يعيدون الى المغرب وحدته بعد ان مزقته الاهواء ، ويردون الى الاسلام جدته بعد ان اهملت تعاليمه واحكامه. وسلاحه في كل هذا، ايمان انطوى قلبه منذ ان كان صبيا ، ايمانه بنفسه وبقوة الشباب المتاجج بين ضلوعه ، وايمانه بدينه وباثره في تكوين الرجال ، واخيرا ايمانه بالمغرب الذي يحتضن كل عناصر الخير المستعدة لتحمل مسؤوليتها واداء رسالتها نحو الجنس البشري باكمله.

وكذلك صنع شاب دولة ، وخلق امة ، وجعلها على راس امم العالم المتمدن اذ ذاك .

وكذلك علمنا هذا الشاب ان نومن بانفسنا ليؤمن بنا الناس ، وان نومن بقوتنا لنستطيع بناء صرح الوطن ، وان نؤمن بشعبنا لندفعه الى تحقيق اهدافه ، واخيرا علمنا عبد الله بن ياسين كيف نبني المستقبل على اعمدة راسخة في النفوس عالية علو السماء .

صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور

للأستاذ عبد القادر الصحراوي

عندما بدأت اقرأ لهذا البحث ، كنت ارجو ان اصل منه الى نتيجة معينة ، هي تزييف هذا التعليل التاريخي التقليدي الذي اجمع عليه كل الذين كتبوا عن قصة استنجاد صلاح الدين الايوبي بيعقوب المنصور .

ذلك التعليل الذي يقول ان الذي منع يعقوب المنصور من ان ينجد صلاح الدين ، انما هو كونه لم يخاطبه في الرسالة التي كتب اليه بلقب **«امير المومنين»**

ولعل القارىء الكريم لا زال يذكر اننا استعرضنا في القسم الاول من هذه المقالات ، النصوص التاريخية الواردة في الموضوع .

كنت ارجو ان اصل الى تزييف هذا التعليل ، لانه يبدو غير معقول ، وغير منطقي ، وغير مقنع ، ولان يعقوب المنصور كما يصوره التاريخ نفسه ، يبدو اكبر واعقل ، من ان يقف مثل هذا الموقف السلبي في حرب عدوانية جماعية ، تشنها الغرب المسيحي على الشرق المسلم باسم الدين ، لا لشيء ، الا لكونه لم يخاطب في الرسالة التي وصلته من صلاح الدين الايوبي بلقب امير المومنين .

نعم ، كنت ارجو ان اجد لهذا الموقف اسبابا اكثر معقولية من هذا التعليل التاريخي المتداول المعروف ، ولعلي اكون قد وفقت الى شيء من هذا ، فقد حاولت ما استطعت ان اجلي بعض هذه الاسباب، وان اشرح التوتر الذي كان يسود العلاقات بين الدولة الموحدية في المغرب ،والدولة الايوبية في مصر وسورية، بسبب الاعتداءات التي شنتها الدولة الايوبية على شرق المغرب العربي تحت قيادة تقي الدين الايوبي اولا ، ثم تحت قيادة مولاه قراقوش التقوي ، تلك الاعتداءات التي كلفت الدولة الموحدية غاليا ، والتي اضطر يعقوب المنصور بسببها الى ان يضحي بانتصاره على الفونس الثامن ملك قشتالة ، كما مر بنا في القسم الثالث من هذه المقالات .

كذلك اشرت الى ان يعقوب المنصور كان مشغولا هو الاخر بحروب صليبية في الاندلس من نوع التي كان يخوض غمارها صلاح الدين الايوبي في مصر وسورية

لكن استمراري في القراءة مع ذلك بدأ يقنعني بان من الصعب جدا أن انتهي الى الغاية التي كنت ارجوان انتهي اليها، وهي ابعادقصة امير المومنين عن الموضوع ، فان قصة امير المومنين هذه ، جعلت تبدو لي اكثر من مسالة لقب ، اكثرمن مسالة بروتوكول او تشريفات انها جعلت تبدو لي مسالة اعتراف او عدم اعتراف ، مسالة اعتراف او عدم اعتراف من الدولة الايوبية للدولة الموحدية بالوضع التي كانت تريده لنفسها ، والصفة التي كانت تريد ان تعامل على اساسها ، والامر بعد ذلك يحتاج الى شيء من الشرح والتفصيل .

تصحيح خطأ

وقعت بعض الاغلاط المطبعية في القسم الثالث من هذه المقالات المنشور بالعدد الثالث ص 30 . نرجو ان يتنبه لها القارىء الكريم .

كما نرجو ان يتفضل بتصحيح الخطا التالي : وعند ما كان يعقوب المنصور على وشك ان يغلب الفونس الثامن ملك قشتالة على طليطلة عاصمة ملكه ، ويعيدها الى الاسلام ، حملت اليه الانباء خبر قراقوش وحلفائه من العرب وبني غانية في **شرق الاندلس** .

والصواب : في شرق المغرب .

فنحن نعلم اولا ان لقب امير المومنين كان خاصا بالخليفة لا يخاطب به غيره .

وقد استقل المغرب عن التبعية لدولة الخلافة منذ ان قدم اليه المولى ادريس الاول واسس بـه الدولة الادريسية .

وتعددت بعد ذلك الخلافات فى العالم الاسلامي، فقام الى جانب الخلافة العباسية فى بغداد ، خلافة اموية ثانية بالاندلس ، وخلافة فاطمية فى مصر .

ومع ذلك فقد ظل الملوك الذين تعاقبوا على عرش المغرب من عرب وبربر ، بعيدين عن التسمي بالخلافة او التلقب بالقابها ؛ وجاءت دولة المرابطين ، واصبح بطلها يوسف بن تاشفين ملكا لامبراطورية قوية واسعة الارجاء ، لانسبة بين قوتها وبين الضعف الذي كانت الخلافة العباسية فى بغداد قد آلت اليه ؛ ولكن يوسف بن تاشفين مع ذلك لم يعلن نفسه خليفة ، ولم يتلقب بامير المومنين ، وانما تلقب بلقب آخر : يدل على مكانته وقوته من جهة ، ويحفظ عليه تادبه مع الخلافة واحترامه لها من جهة اخرى ذلك هو لقب **« امير المسلمين »** .

بل ان يوسف بن تاشفين قد ذهب الى ابعد من ذلك ، فبعث الى المستظهر بالله ، الخليفة العباسي يطلب منه ان يعقد له على ما تحت يده من البلاد ، وبلغة العصر ، فان يوسف بن تاشفين، حاول ان يدعم مركزه بالاعتراف الشرعي او الرسمي من دولة الخلافة وقد كان له ما اراد، فاعترفت به دولة الخلافة رسميا، وظلت العلاقات بينها وبينه على خير ما يمكن من الود والطيبة ؛ تعترف له الخلافة بالسلطة المدنية على مملكته ، ويعترف لها هو بالسلطة الروحية المستمدة من الشرع ؛ واستمر الحال على ذلك ، الى ان انقرضت دولة المرابطين وقامت على انقاضها الدولة الموحدية .

توفى المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، وولى الامر بعده تلميذه وصديقه عبد المومن بن علي جد يعقوب المنصور ؛ فلم يجد نفسه فى حاجة الى ان يقف من الخلافة العباسية فى بغداد ، ذلك الموقف التقليدي الذي اختطه يوسف بن تاشفين من قبل ، وانما اضرب عن دولة الخلافة صفحا ؛ فلم يتعرض لها بمعروف ولا منكر .

لم يعلن فى المغرب ـ رسميا ـ خلافة اخرى كما فعل الامويون بالاندلس من قبل ، والفاطميون فى مصر، وانما اكتفى بان يتخذ لنفسه لقب الخلافة الخاص . وان يدعى هو الاخر : (امير المومنين) .

قد يكون الذي منعه من ان يعلن رسميا هذه الخلافة ، ما تواتر واستقر فى الاذهان من ان الخلافة فى قريش . وعبد المومن لم يكن قرشيا كالعباسيين والامويين والفاطميين ، وانما كان مغربيا بربريا ، برغم ما حاوله هو نفسه ان ينتحل لنفسه نسبا فى قريش.

ومهما يكن فان عبد المومن لم يجد اي حرج فى ان يتلقب باللقب الخطير ، وان يعتبر نفسه فى مركز لا يقل عن مركز معاصريه من الخلفاء العباسيين والفاطميين .

ومات عبد المومن فخلفه على العرش ابنه يوسف ثم حفيده يعقوب المنصور ، واصبح لقب امير المومنين امرا واقعا ، لا يكدره على امراء الموحدين الا انهم بربر، وان الخلافة فى قريش. ويبدو ان حساسية الموحدين بذلك كانت مرهفة جدا ؛ فقد كانوا بربرا بحكم الواقع ، وكانوا يحرصون فى نفس الوقت على ان يتجاهل الناس ذلك منهم ، وان يغضوا الطرف عنه ، وان يلقبوهم باللقب الذي اختاروه لانفسهم، لا يجدون فى ذلك غضاضة، ولا يحسون بما يشم فيه من تناقض، ذلك التناقض الذي لا نستطيع نحن ان نحسه الا اذا انسلخنا من عقليتنا العصرية ، وتقمصنا روح العصر الذي كان يعيشه الموحدون ؛ يوم كان النسب عاملا من العوامل الرئيسية فى تحديد مركز الشخص وقيمته واهليته ، بل وفى تحديد الالقاب التى يمكن له ان يختارها لنفسه ايضا .

المسالة اذن نفسية معقدة عميقة الجذور اكثر مما يبدو لاول وهلة .

ويكفي ان نعلم ان مما يذكره المؤرخون فى تعليل محنة الفيلسوف ابي الوليد بن رشد على يد يعقوب المنصور نفسه ؛ ان ابن رشد قال فى شرحه لكتاب الحيوان لارسطو ، عند ذكر الزرافة : **(وقد رايتها عند ملك البربر)** ؛ يعني يعقوب المنصور .

ويكفي ان نعلم ايضا ان هذا اللقب الذي كان يحرص عليه الموحدون ، لقب (امير المومنين) كان يعرضهم احيانا للتنكيت والسخرية والاجوبة اللاذعة، وهذا يوسف بن عبد المومن والد يعقوب المنصور ، يطلب من حاجبه ان ينظر له من بالباب من الاصحاب والندماء ، فيغيب الحاجب قليلا ، ثم يعود ليعلن اليه ان بالباب احمد الكوارني الشاعر ، وسعيد الغماري الطبيب ، وكانا معا بربريين ؛ فيقول يوسف بن عبد المومن : من عجائب الدنيا ، شاعر من كوران وطبيب من غمارة !! كانما استكثر على البربر ان يكون فيهم

الاطباء والشعراء .ويعلم الشاعر الكوراني بجـواب يوسف بن عبد المومن ، فيقول : **(وضرب لنا مثـلا ونسي خلقه ، اعجب والله منهما خليفة من كومية)** يعني : اعجب من ذلك ، بربري يتلقب بلقب الخلافة وينحل مركزها .

الآن وقد عرفنا شيئا عن لقب امير المومنين في حد ذاته ، وعن موقف الموحدين من هـذا اللقـب ، واحساسهم النفسي المعقد نحوه ، نريد ان نعود الى موضوعنا لنرى ما اذا كان لهذا اللقب فعلا اي تاثير في قصة استنجاد صلاح الدين بيعقوب المنصور .

عدت الى الجزء السادس من كتاب صبح الاعشى القلقشندي اعيد قراءة نص الرسالة التي بعث بهـا صلاح الدين الايوبي الى يعقوب المنصور ، فاذا اول هذه الرسالة :

(فتح الله بحضرة سيدنا امير المومنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدين ، ابـواب الميامين ، واسباب المحاسن ...) الى آخر هذه الرسالة التي وردت في صبح الاعشى في اربع صفحات كاملة .

وكدت اختم الموضوع لانني وصلت الى النتيجة التي كنت اتوخاها منذ البداية ، وهي تزييف تعليل المؤرخين لامتناع يعقوب المنصور عن انجاد صـلاح الدين الايوبي بكون هذا الاخير لم يخاطبه باميـر المومنين .

وكيف لا اختمه ، وهذا القلقشندي الذي يعد المرجع الاول في تاريخ البرتوكول الاسلامي ، وخصوصا فيما يتعلق بالمكاتبات الرسمية علـى اختلافهـا ، واصطلاحاتها وآدابها وما يراعي فيها من الالقـاب والصفات والتقديم والتاخير والافراد والجمع وما الى ذلك ، هذا القلقشندي ، يقول في المقدمة التي كتبهـا للفصل الذي اورد فيه نص رسالة صلاح الديـن الايوبي الى يعقوب المنصور ، متحدثا عن اسلـوب **(المكاتبة الصادرة الى خلفاء الموحدين بالمغرب) عند ما تكون من ملك آخر :**

(والرسم فيه ان تفتتح بالدعاء المناسب للحال ، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بنون الجمع ، ويخاطب المكتوب اليه بامير المومنين ، كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن احد خلفائهم ، في سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، يستجيشه على الـروم الفرنج القاصدين بلاد الشام والديار المصرية ، وهو : فتح الله بحضرة امير المومنين ... الى آخره)

كدت اختم الموضوع ، ولكني آثرت ان استمر في القراءة، فعدت الى كتاب **(الروضتين في اخبار الدولتين)** لابي شامة شهاب الدين المقدسي ، اعيد فيه هو ايضا قراءة نص رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصـور ، فاذا بي امام رسالة تختلف في نصها اختلافا كاملا عن نص الرسالة التي قراتها في (صبح الاعشى) . واذا نص الرسالة الوارد في كتاب « الروضتين » يشتمل على كل ما يمكن ان يخطر بالبال في المخاطبة من الفاظ التمجيد والتبجيل والاحترام والتعظيم ، ما عدا ... « **امير المومنين** » .

وعدت اقرا في كتاب « الروضتين » نفسه ، مـا قبل نص الرسالة وما بعده من التعليقات والشـروح والاخبار والتواريخ ، فاذا ابو شامة متثبت مما يقول ، واذا هو لا يكتفي بان يورد نص الرسالة فقط ، وانمـا يذكر ايضا الطريقة التي حصل بها على نص هذه الرسالة كما يذكر الرسول الذي حملها الى يعقوب المنصور ، وما زود به من النصائح والارشادات ، وما لقنه من الاجوبة، كما يذكر الهدايا التي حملها معه ، وتاريخ سفـره بالضبط ، بل ويذكر نوع المركب الذي حملـه مـن الاسكندرية ، وحمولته ، وتاريخ وصول الرسول الى طرابلس ، ثم الى مراكش ، واجتماعه بالوزير ابي يحيى ابن ابي بكر ، واخيرا تاريخ دخوله على يعقوب المنصور، ثم تاريخ خروجه من مراكش ووصوله الى الاسكندرية من جديد .

ويختم ابو شامة هذا الكلام الطويل العريـض ، بفصل يقول في اوله :

(لم يحصل من جهة سلطان الغرب ما التمس منه من النجدة ، وبلغني انه عز عليهم كونه لم يخاطب بامير المومنين على جاري عادتهم في ذلك)

اذن فنحن لا نزال ندور في فلك امير المومنين .

ومع ذلك فان ابا شامة المقدسي لايكتفي بكل هذا، وانما يورد الى جانبه نصوصا كثيـرة تعد ثروة في الموضوع .

منها ـ الى جانب نص الرسالة الموجهة الى يعقوب المنصور ، وهي من انشاء القاضي الفاضل ـ نص رسالة اخرى من القاضي الفاضل نفسه الى شمس الدين عبد الرحمن بن منقذ الذي حمل الرسالة الـى يعقـوب المنصور في رحلة استغرقت عشرين شهرا .

ومنها ايضا نص رسالة اعتذار من القاضي الفاضل ايضا ، الى السلطان صلاح الدين ، عندما اخفقت سفارة ابن منقذ ، وعلم انها انما اخفقت بسبب ما اغفله القاضي الفاضل من مخاطبة يعقوب المنصور بامير المومنين .

فاذا اضفنا الى كل هذا ان القلقشندي متأخر — في الزمن — عن ابي شامة المقدسي ، وان المقدسي كان ، قريبا جدا من الاحداث التي يتحدث عنها في الجزء الثاني من كتابه ، وهو الذي خصصه للحديث عن حياة صلاح الدين الايوبي ، جاز لنا ان نرجح النص الوارد في كتاب المقدسي ، وان نعتمده مع احترامنا للقلقشندي، ولكتابه صبح الاعشى .

نعم ، لو امكن التوفيق بين النصين لما ترددنا في بذل الجهد في ذلك ، ولكنهما مختلفان كل الاختلاف ، خصوصا فيما يتعلق بموضوع الاشكال الرئيسي ، وهو لفظ (امير المومنين) فان احدهما يثبته على انه قاعدة مقررة ، وثانيهما ينفيه ، ويؤكد هذا النفي بنصوص اخرى كثيرة ، وعلى جانب عظيم من الاهمية في الموضوع

هناك افتراض ، مجرد افتراض ، لا استطيع الآن ان اثبته ولا ان انفيه ، هو ان تكون الرسالة الواردة في صبح الاعشى ، رسالة ثانية بعثها صلاح الدين الى يعقوب المنصور ، ليتدارك بها ما اغفله كاتبه ، لكن الذي يطعن في هذا الافتراض منذ البداية ، ان القلشقندي ، يؤرخ الرسالة الواردة فيه بتاريخ متقدم على التاريخ الذي اورده ابو شامة المقدسي لرسالته ، بنحو سنة على وجه التقريب .

ان هواي — شخصيا — مع القلقشندي، لانه يثبت لقب امير المومنين ، وينهي الاشكال ، ويزيف التعليل التاريخي الذي كان يبدو لنا منذ البداية غير منطقي وغير معقول ، ولكن ماذا اصنع ؟ وحجج ابي شامة المقدسي اقوى ، وبيانه اوضح ، وهو يذكر الحادثة بكل ملابساتها ويؤيدها بالنصوص الكافية ، مما لا يدع زيادة لمستزيد .
لم يبق بين يدي اذن الا ان اعتمد كتاب الروضتين لابي شامة المقدسي ، وان اسوق اطرافا من النصوص الواردة فيه .

ان اهم هذه النصوص ، هو كتاب صلاح الدين الى يعقوب المنصور ، وهذا الكتاب لم يكتب بمحضر صلاح الدين ، ولم يطلع عليه قبل انفاذه ، وانما ارسل صلاح الدين رسوله من الشام الى القاضي الفاضل في مصر ، يامره ان يكتب الكتاب ويبعثه .

فالظروف ظروف حرب ، والحصار على اشده داخل اسوار عكا وخارجها ، والازمة مستفحلة ، ولا مجال للاخذ والرد والمراجعة والمناقشة .

وقد فعل القاضي الفاضل ، فكتب الى يعقوب المنصور ، كتابا يعد من عيون البلاغة العربية ، وان القارىء لهذا الكتاب ليعجب اشد العجب من يعقوب المنصور ، كيف يقرا هذا الكتاب او يسمعه ، فلا تتحرك له اريحيته ، ولا تهتز عاطفته ، ولا ينسيه ما كان بينه وبين الدولة الايوبية من سوء تفاهم سابق ، ولا يسرع بالنجدة المطلوبة منه ، خصوصا وان هذه النجدة ، كما ورد في كتاب القاضي الفاضل الى عبد الرحمن بن منقذ، غير محصورة في شكل واحد قد يتعذر تنفذه ، فان في استطاعة يعقوب المنصور ان يبعث قطعا من اسطوله القوي ، وفي استطاعته ان يقفل بوغاز جبل طارق في وجه الامدادات العسكرية الغربية الزاحفة على الشرق الاسلامي ، وفي استطاعته ان يساعد بالرجال او بالمال ان عز عليه كل ذلك .

يقول القاضي الفاضل مخاطبا يعقوب المنصور على لسان صلاح الدين ، بعد ان يذكر فتح المسلمين لبيت المقدس ، ولكثير من الثغور التي كانت بايدي النصارى:

(ولم يؤخر فتح البلاد بعدها الا ان فرع الكفار بالشام ، استصرخ باصل الكفار من الغرب ، فاجابوهم رجالا وفرسانا ، وشيبا وشبابا ، وزرافات ووحدانا ، وبرا وبحرا ، ومركبا وظهرا ، وركبوا اليهم سهلا ووعرا، وبذلوا ما عونا وذخرا ، وما احتاجوا «اوكا ترتاهم» ، ولا ارسانا تقتادهم ، بل خرج كل يلبي دعوة بطريكه ، ولا يحتاج الى عزمة ملكه ... وجلب الكفار الى المحصورين كل مجلوب ، وملاوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب ، لا تشرق شارقة ، الا طلعت على العدو من البحر طالعة ، تعوض من الرجال ما قتل ، وتخلف من الزاد ما اكل ، فهم كل يوم في حصول زيادة ، ووفور مادة ، وقد هان عليهم موقع الحصر ، واعطاهم البحر ما منعهم البر... كلما افناهم القتل اخلفتهم النجدة ، فكانهم قبل الممات يعودون) .

وفي الاشارة الى مضيق جبل طارق ، واستعمال الغزاة الغربيين له في زحفهم على الشرق الاسلامي . يقول القاضي الفاضل :

(فانه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق ، واجتياز واصلهم بالمضائق ، لكان لنا ولهم شان) .

ثم يقول : **(كان المتوقع من تلك الدولة العالية .. ان يمد غرب الاسلام المسلمين باكثر مما امد به غرب الكفار الكافرين ، فيملاها عليهم جواري كالاعلام ، ومدنا في اللجج سوائر ، كانها الليالي مقلعة بالايام) .**

ومع ذلك ، فان يعقوب لم يتحرك ، لماذا ؟ لانه لم يخاطب بامير المومنين كما تقول كتب التاريخ ، ولاسباب اخرى متعددة في الواقع ، شرحنا بعضها فيما سبق ، وان كنا لا ننكر ان منها قصة امير المومنين .

وقبل ان ننتقل الى النص الذي سيساعدنا على استجلاء قصة امير المومنين هذه ، نريد ان نورد فقرات من الرسالة الخاصة التي كتبها القاضي الفاضل الى الامير عبد الرحمن بن منقذ ، الذي كلف بالوفادة على يعقوب المنصور ، وتبليغ الرسالة اليه ، يشرح له فيها مهمته ، ويلقنه الاجوبة التي قد يكون في حاجة اليها ، وقد نقلنا من هذه الرسالة فقرات في بعض الفصول السابقة ، فيما يتعلق بقضية قراقوش التقوي ، وغزوه لاطراف المملكة المغربية ، وننقل منها الان فقرات اخرى.

فهو ينصح له ان (**يستقري في الطريق وفي البلاد من اخبار القوم ـ الموحدين ـ في احوالهم وآدابهم واشغالهم وافعالهم ، وما يحبونه من القول ، نزره او جمه ، ومن اللقاء منبسطه او منقبضه ، ومن القعود بمجالسهم مخففه او مطوله ، ومن التحيات المتهاداة بينهم ، ما صيغته وما موقعه ، وهل هي السنن الدينية او العوائد الملوكية ، ولا يلقه ـ اي يعقوب المنصور ـ الا بما يحبه ، ولا يخاطبه الا بما يسره**) .

والعبارة الاخيرة مهمة في الموضوع ، فان القاضي الفاضل ، يوصي عبد الرحمن بن منقذ الا يخاطب يعقوب المنصور الا بما يسره ، ولكنه هو ، القاضي الفاضل ، لم يخاطب يعقوب المنصور في الكتاب الذي كتبه اليه بما يسره ، ولم يكن ذلك عن غفلة منه ، وانما كان متعمدا مقصودا ، كما سيبدولنا بعد حين .

ثم يمضي القاضي الفاضل في تلقين الرسول ، الى ان يقول :

(.. **وان كانت دون الاسطول موانع ، اما لقلة عدة ، او شغل هناك بمهمة ... فالمعونة ما طريقها واحدة ، ولا سبيلها محدودة ، ولا انواعها محصورة ، تكون تارة بالرجال وتارة بالمال .. فلا ترضى همته ان يعين الكفر الكفر ، ولا يعين الاسلام الاسلام، وما اختص بالاستعانة الا لان العدو جاره ، والجار اولى بالجار ، واهل الجنة اولى بقتال اهل النار**) .

عاد عبد الرحمان بن منقذ بعد رحلة استغرقت عشرين شهرا ، وعلم ان سفارته لم تنجح ، بسبب ما اغفله القاضي الفاضل من خطاب يعقوب المنصور بامير المومنين ، ويبدو ان القاضي الفاضل قد تعرض لبعض اللوم او التوبيخ بسبب ذلك ، وانه قد اعتبر مسؤولا عن اخفاق هذه السفارة ، خصوصا وان الرسول الذي جاءه من الشام ، يحمل اليه امر صلاح الدين بتحرير كتاب الى يعقوب المنصور ، بلغه ان صلاح الدين نفسه يامر بان يخاطب يعقوب المنصور بلفظ امير المومنين ، بل ان الرسول قد امتنع من اخذ الكتاب ما لم يصرح فيه بهذا اللقب ، لكن القاضي الفاضل كان له راي في الموضوع تعصب له ، وظل متعصبا له مستعدا للدفاع عنه ، حتى بعد اخفاق السفارة .

انه يعتبر خطاب يعقوب المنصور بامير المومنين ، اعترافا له بصفة الخلافة التي كان يريد ان يضفيها على نفسه ، بل انه يعتبر ذلك مبايعة ، ومعنى ذلك نقض الولاء للخلافة العباسية التي كانت لا تزال قائمة حتى ذلك الحين ، وان لم يكن لها من الامر شيء ، والتي كان الايوبيون يعترفون لها بالسلطة الروحية ويعتنقون بيعتها ، بعد ان قضوا القضاء المبرم على دولة الفاطميين في مصر .

كان من راي القاضي الفاضل ان في امكان الرسول ان يخاطب يعقوب المنصور ـ مشافهة ـ بلفظ امير المومنين ، اما ان يكتب ذلك في كتاب رسمي ، فان ذلك قد يعتبر حجة، وقد يعتبر ضعفا وتخاذلا واستسلاما.

ولعل كل هذا واضح تمام الوضوح في الفقرات التالية ، وهي فقرات من كتاب كتبه القاضي الفاضل الى السلطان صلاح الدين ، بعد اخفاق السفارة ، وتحميله مسؤولية اخفاقها ، يشرح له فيه القضية ، ويبرر موقفه منها ، يقول القاضي الفاضل :

(... **وعند وصول الامير نجم الدين من المخيم المنصور ـ يعني مخيم صلاح الدين ـ فاوضه المملوك ـ يعني نفسه ـ بانه لا يمكن الا التعريض ، لا التصريح ، بما وقع له انه لا تنجح الحاجة الا به من لفظة امير المومنين ... فامسك مقدار عشرة ايام ، ثم انفذ اليه الامير المذكور على يد ابن الجليس ، بان الهدية اشير عليه بالا يستصحبها ، وان استصحبها تكون هدية برسم من حواليه ، وان الكتاب لا ياخذه الا بتصريح امير المومنين ، وان عز السلطان عز نصره ، رسم له ذلك ... فاجابه المملوك بان الخطاب يكفي ، وطريق جحدنا له ممكن ، والكتابة حجة تقيد اللسان عن الانكار، ومتى قرئت على منبر من منابر المغرب ، جعلنا خالعين في مكان الاجماع ، مبايعين من لا ينصره الله ، ولا شوكة فيه ، ولا يحل اتباعه ... شاقين عصا المسلمين ، مفرقين كلمة المومنين .. والمومن لا يذل نفسه ، وقاسم الارزاق يوصلها وان رغم من جرت على يده ، فما يتخلى الله عنا ، ولا تستمر هذه الشدة ، ولا نسيء الظن بالله ... ولو علم المملوك ان هذا الذي استعفى منه يضره بحيث ينفع المولى ابقاه الله ، لهان عليه ، ولكنه مضرة بغير منفعة ، وتعرض لما تذم عاقبته ، او يبقى على الخوف منه**) .

وبعد ، فقد كنت استهدف من كتابة هذا البحث، ان ازيف قصة امير المومنين ، ولكن يبدو انني لم ازد على ان اكدتها وشرحتها بالرغم مني ، وعذري في ذلك

انه ليس لي ان اتحكم في التاريخ ، او ان افرض عليه هواي ، لقد اقنعتني النصوص ، او خففت من غلوائي على الاقل ، وجعلتني انظر الى القصة التي كنت اريد ان ازيفها من زوايا متعددة ، فاذا هي واقع ثابت لا سبيل الى انكاره ، واذا هي اعمق جذورا ، واكثر تشعبا وتعقيدا مما يبدو لاول وهلة .

ومع ذلك فان في استطاعة هذا البحث المتواضع، ان يفضي بي الى نتيجة مهمة ، هي ان امتناع يعقوب المنصور عن انجاد صلاح الدين الايوبي ، كانت له اسباب متعددة ، ليست قصة امير المومنين على تشعبها وتعقدها الا واحدة منها ، او ليست الا السبب المباشر، او التعلة التي وجدها يعقوب المنصور اقرب اليه ليتوكأ عليها ويتعلل بها .

انها اشبه بقصة جحا، عند ما قصده احد جيرانه، يطلب منه ان يقرضه حبل الغسيل ، لينشر عليه ملابسه ، فاعتذر بان الحبل مشغول ، وانه وجد اهله قد نشروا عليه الدقيق !!!

اما باقي الاسباب واهمها واكثرها معقولية ، فهو ان يعقوب المنصور كان مشغولا بفتوحاته وحروبه التي كانت هي الاخرى — كما ذكرنا من قبل — جزءا من الحروب الصليبية او نوعا منها ، خاض يعقوب المنصور غمارها وحده ضد الاسبان والبرتغاليين . كما كان من جهة اخرى موتورا ضد الدولة الايوبية ، بسبب ما جرت عليه من المتاعب والويلات ، وما كبدته من الخسائر ، عند ما غزت مملكته بقيادة تقي الدين الايوبي اخي صلاح الدين ، ثم بقيادة مولاه قراقوش التقوي ، وخلفائه من من بني هلال وبني غانية ، كما شرحنا ذلك بتفصيل في الفصل السابق .

ومهما يكن ، فان موقف يعقوب المنصور بالرغم من كل ما ذكرنا ، لم يكن مشرفا بالنسبة اليه ، ولا لائقا بما عرف به في التاريخ من عظمة ونبل وغيرة وعلم واتساع افق .

لقد كنا نريد له ان يتوج عظمته بتناسي هذه الاعتبارات الثانوية التي لا تستطيع ، اولا ينبغي لها ، ان تصمد في وجه الاعتبارات الاولية الصحيحة ، اعتبارات وجوب التماسك والتآزر والوحدة ، والوقوف صفا واحدا في وجه العدو المغير ، سواء حاول ان يغزونا باسم الدين ، او باسم المدنية ، او بدافع التنازع على النفوذ ، او باسم الطرد والابادة والاحتلال الصريح ، كما فعلت معنا اسرائيل في جزء من وطننا العربي الكبير .

ان التاريخ لا يعيد نفسه بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة ، ولكن الاسباب والمقدمات اذا تكررت ولو في صورة مقاربة ، تنتج عنها عادة نفس النتائج او ما يشبهها ويقاربها .

ان التاريخ يعيد نفسه بهذا المعنى الاخير ، فهل من اللازم ان نعيد منه نحن نفس الاخطاء والاغلاط ؟؟

هذه اسرائيل تجلب علينا بالمدافع والدولار والدس والرشوة وشراء الضمائر ، في حرب شديدة الشبه بالحروب الصليبية ، باعثها الحقيقي الغزو والاحتلال والسيطرة والتحكم ، واسمها الذي تظهر به للعيان ، تنفيذ وعد الله بالرجوع الى ارض الميعاد ، ولم شعث الشعب اليهودي ، شعب الله المختار .

ويشاء الله ان يكون ذلك مرة اخرى على نفس الارض التي كانت الهدف الرئيسي للحروب الصليبية .

واذا كانت التجربة الاولى قد كتب لها ان تفشل على يد صلاح الدين ، فان كل واحد من رجال الحكم في البلاد العربية والاسلامية اليوم ، يستطيع اذا اراد ان يكون صلاح دين ، على شرط ان يتساموا جميعا عن السخافات والترهات والاعتبارات الزائفة ، وعن الانانية الحمقاء وعن عقلية جحا في قصة حبل الغسيل .

تابع الصفحة 34

وعلى ضوء هذه الحقائق التي يتضح منها ما للاسلام من محاسن ومزايا تكفل للانسان حياة اكرم وبقاء اشرف . تناشد التاريخ على ان يحتفظ بها للاجيال المقبلة ، كما احتفظ بها طوال تلك القرون التي عاشتها الاجيال الغابرة . حتى يعلم سر عظمة الاسلام الذي حقق لبني آدم ما عجزت عن تحقيقه الدول الكبرى ذوات الحضارة العظمى ، حتى في العصر الحاضر مع ما هو موفور لديها من الوسائل في مختلف الميادين فعسى ان يهب المسؤولون ليعملوا على نشر تعاليم الاسلام الصحيح، الذي به وحده يستطيعون ان يمحوا تلك الصور المشوهة التي علقت بكثير من العقول وارتسمت في كثير من المخيلات والاذهان ، مما جعل المسلمين يتسمون بطابع التاخر والجمود وجعل الغربيين يتصفون بالحيوية والحضارة والنهوض ، الشيء الذي حول الاتجاه الى الغرب وجعل الكثير من الناس لا يؤمنون الا بما يصدر عن الغرب معللين هذا التحول بما كان عليه المسلمون في الشرق والغرب الى عهد ليس ببعيد من تدهور وخنوع وتواكل وخضوع وايمان بالقصص والخرافات التي خدرت اعصابهم ، ونومت شعورهم وافقدتهم الايمان بربهم وبانفسهم ، وذلك مثل . ان للبيت ربا يحميه . وما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يظهر في الوقت غير ما اظهره الله فيه . ولا تطلب منه ان ينقلك من حالة ليستعملك فيما سواها ، فلوشاء لاستعملك من غير طلب ، وما الى هذا من ضروب التضليل وانواع التعطيل وبديهي ان مجتمعا يعيش على الاوهام والاحلام جدير بان لا يعتبر في قليل ولا في كثير . لهذا فان اولئك الذين يصدفون عنه محقون حينما يرمونه بالعقم والشلل .



الكوكب الروسي :

شهد شهر اكتوبر انقلابا فاصلا جديدا فى تاريخ البشرية ، وهذا الانقلاب يتمثل فى الكوكب الصناعي الذي اطلقته روسيا فى الفضاء ليركض حول الارض فى سرعة مذهلة ، وبه اجهزة تنقل الى الارض للمرة الاولى فى التاريخ معلومات لا عهد للانسان بها .

وقد بلغ من خطورة هذا الحادث ان الرئيس نهرو اقترح ان تسمى سائر العصور التي سبقته بالعصر الحجري ...

ولا يهمنا الكوكب الصناعي فى هذا الباب من ناحيته العلمية ، وانما تهمنا نتائجه السياسية :

1) كان له اثر كبير جدا فى رفع هيبة روسيا ، خصوصا من ناحية الاسلوب الذي اطلق به ، فلم يسبق بدعاية ، وانما اطلق كانه شيء عادي لا يدعو الى جلبة ولا الى ادعاء .

2) اعطى صبغة خالصة ، فهو كوكب فى ظاهره قد اطلق لتحقيق دراسات علمية صرفة لا علاقة لها بالاعتداء فاظهر روسيا فى صورة الدولة التي تفكر فى العلم اكثر مما تفكر فى العدوان ، او فى صورة من لم يكرس جهوده للتفكير فى الشؤون السياسية وحدها .

3) كان له اثر بعيد المدى فى الولايات المتحدة ، فقد نشطت المعارضة تتهم الرئيس ايزنهاور بالتخاذل ، لانه انقص فى الميزانية القدر المخصص للابحاث العلمية ، وسوف يستغل هذا الحادث لتغليب جانب الديمقراطية على جانب الجمهوريين فى الانتخابات القادمة .

4) قد يكون له اثر فى استتباب الاستقرار الدولي ، لان من شانه ان يبعث الولايات المتحدة على عدم الاطمئنان الى تفوقها العسكري ، وبذلك يزداد شبح الحرب خطورة فى نظر الجانبين .

ليتل روك :

وبينما كان الكوكب الروسي يركض فى الفضاء ، وقع فى مدينة ليتل روك الهادئة بولاية اكنساس فى جنوب الولايات المتحدة ، حادث مروع اعاد الى الاذهان تاريخا ظن انه انقرض ، وكان سببا فى اندلاع الحرب الاهلية بالبلاد فى القرن التاسع عشر .

وذلك ان سكان هذه المدينة البيض ، صمموا على ان يحولوا دون تطبيق قوانين المساواة بينهم وبين سكانها السود ، وتبلغ نسبتهم 23 فى المائة ، وعبروا عن هذه المشيئة باضطهاد الطلبة السود فى احدى المدارس وطردهم منها .

وقد وقف الرئيس ايزنهاور من هذا الحادث موقفا شريفا ، فانذر حاكم اكنساس ــ الذي كان يتزعم هذه الحركة الاضطهادية ، ولكنه مضى فيها دون ان يلوي على شيء ، فطبق الرئيس قانونا لم يطبق منذ سنوات عدة خلت ، وهو يقضي بارسال فرقة المظلات التابعة لجيش الاتحاد الى الولاية ، ومن المعروف ان الحرس الوطني التابع للولاية هو المسؤول عن الامن ، وان جيش الاتحاد لا يتدخل الا فى حالة الخطر الجماعي .

وتدخل الجيش ، واعاد الطلبة السود الى المدرسة بالقوة ، واصيب بعض البيض حينما حاولوا الحيلولة دون ذلك ، فثارت ثائرة خمس ولايات اخرى فى الجنوب ولكن موقف ايزنهاور الحاسم اظهر لحكام تلك الولايات ، انه مصمم على استعمال قوات الاتحاد المسلحة لتنفيذ قوانين المساواة ، وهي الخطوة التي لم يكن احد منهم يتصور انه يجرؤ على الالتجاء اليها .

وليس هذا فحسب فقد حصل حادث آخر فى نيويورك ، حينما رفض مطعم بالمدينة السماح لعضو من اعضاء وفد غانا الى الامم المتحدة بتناول وجبة الغذاء ، وقد تاثر ايزنهاور مرة اخرى لهذا الحادث ، فدعا العضو الى تناول الغذاء على مائدته الخاصة ، وكان من الممكن ان يتطور الموقف الى طلب نقل الامم المتحدة من امريكا ، لان الامريكيين لا يحسنون استقبال اعضائها ولا يعاملونهم معاملة كريمة .

ويتوقع المراقبون ان يكون لحادث ليتل روك اثره الملموس فى السياسة الامريكية ، ويلخصون هذا الاثر فى :

1) ان نفوذ الجمهوريين سوف يتعزز فى الشمال الذي وقف وما يزال يقف ضد التمييز العنصري ، ولكن هذا النفوذ سوف يضعف فى الجنوب ، الا ان الجمهوريين سوف يكونون الفائزين فى النهاية .

2) ان ينشق الديمقراطيون انشقاقا جديدا يكون من شانه ان يضعضع صفوفهم ويعرضهم لتجربة جديدة قد تكون قاسية .

3) ان ينشأ فى الولايات المتحدة حزب جديد ، لان الخلاف حول الملونين فى عمقه ، ليس خلافا بين الجمهوريين والديمقراطيين ، ولكنه خلاف قومي قد يتطلب نشأة حزب جديد ، وهم يتوقعون ان يتم تاليف هذا الحزب قبل الانتخابات المقبلة فى سنة 1960 .

الازمـة الوزاريـة في فرنسا :

ان كل تعليق شهري على السياسة الدوليـة فى هذه الايام لا يمكن ان يخلو من الحديث عن ازمة وزارية فى فرنسا ، فقد اصبحت هذه البلاد مثلا للفوضى الحكومية وتساقط الوزارات ، وضربت الرقم القياسي بعد الحرب العالمية الثانية فى عدد الذين تولوا رئاسة الحكومة فيها ، كما ضربت الرقم القياسي فى عدد الاسابيع التي قضتها دون حكومة ، وفى عدد الرؤساء المعينين الذين اخفقوا فى اداء المهمة التي يعهد اليهم بها رئيس الجمهورية .

وقد دخل عامل جديد على الموضوع منذ سنة 1954 كان له بالغ الاثر فى اسقاط الحكومات الفرنسية ، هو عامل الحرب فى الجزائر ، اذ لم تستطع فرنسا ان تنجب زعيما تؤهله صفاته لمواجهة مشكلة الجزائر مواجهة صريحة ، بقطع النظر عن كل الاعتبارات الجزئية التي صرفت سائر رؤساء الحكومات عن جوهر مشكلة الجزائر الى القشور والشكليات ، وتعيد فرنسا فى الجزائر كل التجارب التي مرت بها فى تونس والمغرب ، وهي تحاول عبثا — ومشكلة الجزائر اكثر تعقدا — ان تحلها على نفس الطريقة التي فشلت فى ان تحل بها قضية البلدين المستقلين ، وتكوم فرنسا فى قضية الجزائر الاغلاط تلو الاغلاط ، فتزيدها بذلك بعدا عن الحل الطبيعي ، لانها فى الواقع تكوم الحطب فوق نيران الحرب المستعرة ، الامر الذي يتطور بقضية هذه البلاد الى وضعية لا حل لها الا بما حلت به قضية الهند الصينية واذا تطورت القضية الجزائرية الى هذه النهاية التي يجعلها موقف فرنسا نهاية محتومة ، فسوف تكون نتائجها على الجمهورية الفرنسية اخطر جدا من النهاية فى الهند الصينية .

وقد اصبح من الواضح منذ زمن ، ان القواعد الدستورية التي تسير عليها فرنسا ، تمكن للاحزاب فى البرلمان ، وتجعل حصول جانب على اغلبية ساحقة يستطيع بها ان ينتهج سياسة انشائية متحررة، امرا يكاد يكون مستحيلا ، وقد فطن الفرنسيون انفسهم الى ذلك ، ومن الموضوعات التي سوف يكون على رئيس الحكومة الجديدة ان يواجهها موضوع تغيير الدستور.

واذا كانت الازمة الجزائرية هي التي طوحت بالحكومة الفرنسية السابقة فقد تطورت الازمة بعد سقوط هذه الحكومة واصبحت تشمل وضعية البلاد الاقتصادية .

وهكذا ترث كل حكومة لاحقة فى فرنسا مشاكل افدح من كل حكومة سابقة .

تابع الصفحة 37

ثم الاسلام حين قرر دور المال ، وموارده ومصارفه اعطى القائمين على شؤون الدولة الاسلامية بمشاورة ارباب الحل والعقد واهل الراي كامل الحرية ومطلق التصرف فى توزيع هذه الاموال وفق الاصلح والاجدى للطبقات المعوزة ، ووفق الخطوط العامة للتلقينات القرآنية والنبوية التي توجب على خزينة الدولة مساعدة هذه الطبقات الفقيرة ، وتوزيع الانصبة المخصصة لهم فى موارد هذه الخزينة على الطريقة المثلى التي تكفل لافرادها راحة البال ، وتجنبهم من ضائقات الحرمان والذل والمرض ، وتتيح لهم الكفاية من العيش ، وتقيهم شرور الافكار الهدامة ، التي تجتاح عالمنا الحاضر بكيفية خطيرة اضطرت معها جميع الدول العالمية الى سن قوانين تحد من الجيشان الاجتماعي والاقتصادي والانساني ، وتخفف من غلواء التفاوت الفاحش بين طبقات مختلف السكان ، ونعتقد ان لا احد يمانع — لتحقيق هذه الاغراض الانسانية النبيلة — من اتخاذ جميع الخطوات والاجراءات اللازمة، ولو بسن ضرائب جديدة على جميع الاغنياء حسب ثرواتهم وارباحهم حتى تزداد قدرة الدولة على مساعدة الطبقات المعوزة البائسة .

للحديث صلة

تابع للصفحة 46

الفكر الانساني كما يراه ابن خلدون

خلدون بقوله : (وتصير (اي القوة الفكرية) فى اول مراتب الروحانيات فى ادراكها بغير الآلات الجسمانية) او قوله : (وقد تنسلخ بالكلية من البشرية وروحانيتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب) ونستطيع ان نستنتج من تعريف ابن خلدون حقيقة لامراء فيها وهي تقدم علم التشريح على عهد الرجل ، وغزارة المبادىء النفسية وان لم تكن مجتمعة فى علم يسمى علم النفس ، بل انما كانت مطلبا من مطالب الفلسفة ، ولن يداخلنا العجب فى ذلك ، لان مايزيد على اربعين كتابا من كتب جالينوس الطبيب اليوناني كانت مترجمة الى العربية قبل عصر ابن خلدون بثلاثة قرون ، نجد من بينها عدة كتب فى التشريح كـ (تشريح الرحم) و (تشريح الحيوان الحي) وغيرهما، اضف الى ذلك كتب الاطباء العرب الذين كانت لهم كشوف جديدة فى الطب والتشريح ، فالفيلسوف العربي يعقوب بن اسحاق الكندي ، ذكروا له 22 كتابا فى الطب ، عدافروع العلم الاخرى ، وابو بكر الرازي ، والشيخ الرئيس ابن سينا ، وناهيك بكتابه (القانون) هذه الموسوعة الطبية التي ظلت قرونا المرجع الاول لاطباء اوروبا ، وبدون شك فان ابن خلدون اطلع على كثير من هذه الكتب الطبية ، يدلنا على ذلك عدم تحرجه من الادلاء بدلوه فى المواضيع الطبية ، ما يبدو ان لها علاقة بالموضوع الذي يطرقه — وبعد اخذنا صورة تقريبية عن فهمه للنفس ، وحللنا الشطر الاول من تعريفه للفكر الانساني ، وهو ان الفكر (حركة للنفس فى البطن الاوسط من الدماغ) بعد هذا ننتقل الى الشطر الثاني من التعريف، وهو يتعلق بكيفية عمل الفكر ، فكأنه فى الشطر الاول اراد ان يحدد ماهيته وفى الثاني طريقة سيره وادراكه للحقائق ، وفى هذا الشطر يقول : (تارة يكون مبدا للافعال الانسانية على نظام وترتيب) .

ومن هذا نستخلص ان الفكر مبدا اعمال الانسان ، سواء منها العملية او المعنوية ، وانه يسير فى ذلك على نظام وترتيب ، ولا بد من الوقوف عند فكرة النظام والترتيب ، فانه من شان الانسان انه لا يفكر الا بترتيب حدود بحثه ، بحيث تظهر دائما بين السابق واللاحق علاقة واحدة ، اي تقسيم الاشياء اقساما وطوائف ، ونظمها فى طبقات ودرجها تحت مقولات ، ولا بد ايضا من سؤال يتفرغ عنه سؤلان: ماذا يعني بالنظام والترتيب اهو النظام المنطقي (المقدمة الصغرى ، لم الكبرى ، ثم النتيجة) ؟ ام يعني تنظيما آخر اقرب الى المراحل التي اثبتها علم النفس الحديث مثلا وهي :

1) مرحلة الادراك المعنوي او التعقل
2) مرحلة الحكم نفيا او اثباتا
3) مرحلة الاستنباط
4) مرحلة التعليل ، ويبدو ان الترتيب الذي يقصده يكاد يكون ترتيبا منطقيا حيث يقول بالنص (فالمنطق امر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية ، ومنطبق على صورة فعلها) ويقول فى مكان آخر (ثم الصناعية المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة النظرية تصفه لتعلم سداده من خطئه) اما فى الشطر الثالث من تعريفه للفكر ، فاننا نقطع بانه يشير الى الحدس حيث يقول : (وتارة يكون مبدا لعلم ما لم يكن حاصلا بان يتوجه الى المطلوب ، وقد يصور طرفيه يروم نفيه او اثباته ، فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما اسرع من لمح البصر ، والحدس كما استعمله فلاسفة الاسلام. على الجملة هو: سرعة انتقال الفكر من المعلوم الى المجهول او الانتقال من المبادىء الى المطالب مباشرة ، وفى زمن قصير ، استعمله ابن سينا فى كتاب (النجاة) والجرجاني فى (التعريفات) وعمر بن سهلان فى (البصائر النصرية) اما عند ديكارت فهو الرؤية العقلية المباشرة يدرك الذهن بها بعض الحقائق التي تذعن لها النفس ، وتوقن بها يقينا لا سبيل الى دفعه ، وهو نظرة عقلية بلغت من الوضوح ان زال معها كل شك ، وهو فعل عقلي لا يتصل بالحواس ولا بالخيال ، وانما يختص بالذهن ، بل بالذهن الخالص الصافي ، وخلاصة القول فان الفكر الانساني كما يراه ابن خلدون هو بنفس تعبيره (وجدان حركة للنفس فى البطن الاوسط من الدماغ ، تارة يكون مبدا للافعال الانسانية على نظام وترتيب ، وتارة يكون مبدا لعلم ما لم يكن حاصلا بان يتوجه الى المطلوب ، وقد يصور طرفيه يروم نفيه او اثباته ، فيلوح له الوسط ، الذي يجمع بينهما اسرع من لمح البصر) ومن هذا نستطيع ان نلحظ مدى جراة العلامة ابن خلدون على مناقشة موضوع اصبح يعد من موضوعات علم النفس ، وان كان علم النفس لا يتوسع كثيرا فى محاولة التعرف على ماهيته ، بل انه يبحث ظواهره ومراحله مع شرح كل مرحلة على حدة ، فعله فى دراسة العقل والنفس ، وهو اذا تعرض لهذه الماهية فانه لا يفيدنا اكثر مما يفيدنا به ابن خلدون .

فهرس العدد الرابع والخامس

الصفحة	الموضوع	الكاتب
1	**على منبر المسجد الاعظم بتطوان**	
5	الى جلالة الملك محمد الخامس	**من علماء العراق**
7	ثورة الصحراء ـ قصيدة ـ	**للزعيم الاستاذ علال الفاسي**
12	بين الجمود والجحود	**للاستاذ الكبير السيد المختار السوسي**
14	الثبوت العقلي للرسالة المحمدية	**للعلامة السيد ابي الاعلى المودودي**
17	جربوا الاسلام	**للاستاذ عبد الله كنون**
19	معنى دعوة الحق	**للدكتور تقي الدين الهلالي**
21	الدراسات الاسلامية بامريكا	**للكاتب الانجليزي روم لاندو** **تعريب الاستاذ عبد الكبير الفاسي**
23	عودة محمد الخامس ـ قصيدة ـ	**للاستاذ عبد المجيد بن جلون**
26	جهاد جيل	**للاستاذ عبد الوهاب بن منصور**
29	محمد الخامس مجدد نظام الملكية بالمغرب	**للاستاذ عبد الكريم غلاب**
31	المراة في الاسلام	**للاستاذ الرحالي الفاروقي**
33	الاسلام وحقوق الانسان ـ 3 ـ	**للاستاذ رشيد الدرقاوي**
35	نداء ـ قصيدة ـ	**للاستاذ محمد الحلوي**
36	الضمان الاجتماعي في الاسلام	**للاستاذ عبد الكريم التواتي**
38	النزعة الذرائعية في العقيدة الاسلامية	**للاستاذ الحسن السايح**
39	السلطان مولاي عبد الرحمان والامير عبد القادر الجزائري	**للاستاذ عبد القادر القادري**
41	الاسلام والمذاهب الفكرية الحديثة	**للاستاذ مصطفى محمد الصباغ**
42	لا حق للاب ان يجبر ابنته على الزواج	**للاستاذ محمد الامراني**
45	الفكر الانساني كما يراه ابن خلدون	**للاستاذ محمد الامري المصمودي**
47	يحيى بن يوسف ـ قصة ـ	**للاستاذ عبد المجيد بن جلون**
49	خواطر	**للاستاذ محمد الحلوي**
50	مشاهداتي في الحجاز	**للاستاذ عبد الله كنون**
53	في حقل التربية الدينية	**للاستاذ عبد الرحمان السايح**
57	الف رجل ـ قصة تاريخية ـ	**للاستاذ العربي العمروي**
59	صلاح الدين الايوبي ويعقوب المنصور	**للاستاذ عبد القادر الصحراوي**
65	الصفحة السياسية	

مطبعة فضالة ـ فضالة